المساء

الرأي الحر والخبر اليقين

يومية مستقلة | الثمن: 4 دراهم

■ مدير النشر: أحمد امشكح ■ العدد: 4679 ■ الاثنين 29 جمادى الأولى 1443 ■ الموافق لـ 03 يناير 2022

اقتصاد

مهنيون يتخوفون من وصول أنفلونزا الطيور إلى المغرب

05

حـــوار

كوكلر: وعيت السياسة العالمية قبل مراهقتي

09

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة الأولى

قال إنه يتذكر دبابات الجيش الفرنسي التي كانت تتوقف بين الحين والآخر أمام منزله

كوكلر: وعيت السياسة العالمية قبل مراهقتي

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

- هل تتفضل، البروفيسور كوكلر، بالحديث عن منشئك لقراء الجريدة؟

■ ولدت في أكتوبر 1948 بشفاتس Schwaz في التيرول النمساوي. كانت المدينة في القرنين 15-16 - حتى بعد غزو الإسبان لأمريكا الجنوبية - واحدة من أهم مدن التعدين في العالم وثاني أكبر مدينة في إمبراطورية هابسبورغ بعد فيينا. نشأت في بلدة بوخ Buch، وهي مجاورة لشفاتس، حيث عشت حتى سن 14 عامًا. تعلمت في المدرسة الابتدائية، التي كانت مكونة من ثلاثة صفوف لمدة 8 سنوات. وبما أنني كنت الابن الوحيد، فقد كان من المفترض أن أرث مزرعة والدي عندما أكبر. كان الذهاب إلى المدرسة الثانوية غير وارد بالنسبة لابن مزارع (بسبب نجاحي واجتهادي في المدرسة، عرضت علي الكنيسة الكاثوليكية الدراسة في «الجيمنازيوم» Gymnasium وأنا ابن العاشرة، لكن والدي رفضا ذلك، لأنهما كانا يحتاجانني في المزرعة). إلى جانب عمله كمزارع، كان والدي أيضا ساكرستانا في الكنيسة الكاثوليكية المحلية. وفي وقت لاحق كان أيضا رئيسا لاتحاد المزارعين التيروليين في بلدتنا. وظهرت سلالة الفنادق الناجحة إلى اليوم عندنا من عائلة والدي. قبل الحرب العالمية الثانية كانت إحدى بنات عمه من أوائل النساء في النمسا اللائي حصلن على درجة الدكتوراه في الفلسفة. تنحدر والدتي من مدينة شفاتس، حيث كانت، بصفتها ابنة رجل أعمال من منطقة الفوخاخلبيرغ النمساوية، قادرة على الالتحاق بكلية إدارة الأعمال وتعلم اللغة الإنجليزية أيضا، وهو أمر كان غير معتاد في التيرول في ذلك الوقت. لكن عند نهاية الحرب عام 1945، كانت مفيدة جدًا لأقاربي في المزرعة ببلدة بوخ. تم الاستيلاء على مزرعتنا كمركز قيادة من قبل الجيش الأمريكي الذي تقدم في منطقتنا، وتمكنت والدتي من العمل كمترجمة فورية للعائلة في هذا الوضع الصعب. كان جدي الأكبر من جانب أمي عمدة بلدة بوخ خلال العصر الإمبراطوري. كان من الناحية التقنية موهوبًا للغاية ونشيطًا في التعليم الشعبي، وأطلع المزارعين على الأدوات الزراعية الحديثة حتى يتمكنوا من تحقيق عوائد كبرى.

> في بداية سنوات دراستي الجامعية - 1968 - كان التمرد الطلابي حدثًا تعاملت معه بشكل نقدي. بالمناسبة، نشرت مقالتي الأولى حول هذا الموضوع في يوليو 1968 في مجلة جامعة إنسبروك تحت عنوان «نقد بلا مبدأ؟»

- ما هي الذكريات الجميلة التي بقيت عالقة في ذهنك عن طفولتك في قلب جبال الألب التيرولية النمساوية؟

■ واحدة من أفضل ذكريات طفولتي هي الزيارة الأولى (في صيف عام 1953، في سن الخامسة) مع والدي لمراعي عائلتنا بجبال الألب المسماة «Tiefenbach-Alm» بجبال كارفيندل Karwendel (بالقرب من بحيرة آخن Achensee). وهناك ذكرى خاصة أخرى من الطفولة المبكرة تتعلق بزيارة والدي لواد جبلي منعزل شرق منطقة التيرول، وهو جزء من البلاد لم يعد مرتبطا بشكل مباشر بشمال التيرول منذ عام 1918 عندما تم التنازل عن جنوب التيرول لإيطاليا. كانت الرحلة في قطار الممر المسدود عبر الأراضي الإيطالية تجربة مثيرة بالنسبة لي. زرنا في شرق التيرول، في قرية إنرفيلغراتن Innervillgraten الزراعية (مسقط رأس كاهننا الكاثوليكي ومن حيث كان يأتي على مر السنين عمال مزرعتنا في بوخ)، الحفل المسمى «بريميس» Primiz، حيث تم تنصيب رجل دين كاثوليكي. في الليل، احتفالا بهذه المناسبة، أضيئ عدد لا يحصى من الشموع من شرفات الأفنية على المنحدرات الجبلية شديدة الانحدار. سحر هذه اللحظة مطبوع في ذاكرتي بشكل لا يمحى (لم أكن في سن المدرسة حينذاك). أتذكر أيضا الزيارة القصيرة في الصيف مع والدتي لبحيرة آخن، أجمل بحيرة بجبال الألب بالتيرول، وهي لا تبعد كثيرًا عن مسقط رأسي على ارتفاع 1000 متر فوق وادي إنتال. وفيما يتعلق بتاريخ عائلتنا، فإن الذكريات الخاصة تشمل بالتأكيد الساعات التي كان جدي يتحدث فيها عن ماضيه كأسير حرب في روسيا/ سيبيريا خلال الحرب العالمية الأولى، وأبي عن سنواته الثلاث كسجين حرب أمريكي أثناء الحرب العالمية الثانية (أولاً في شمال إفريقيا، ثم في الولايات المتحدة نفسها). لقد شجعت تجارب والدي وجدي بالتأكيد اهتمامي بـ«العالم الواسع الكبير».

- كيف كان يقضي كوكلر الشاب وقته في منطقة ريفية محضة؟

■ بما أنني نشأت في المزرعة، فقد قضيت بطبيعة الحال الكثير من الوقت في الطبيعة. شاركت في العمل في المزرعة منذ سن مبكرة. في الربيع والخريف- عندما لم تكن الأبقار موجودة أو لم تعد موجودة في المراعي الألبية- غالبًا ما كان يتم تكليفي طوال فترة ما بعد الظهر بعد المدرسة بتسريح الأبقار في المروج. كانت الساعات الطويلة في المراعي تحفز تفكيري بشكل طبيعي. كنت أحب أيضا الذهاب في جولة استكشافية في الغابة التي تقع على حدود مزرعتنا. وعندما كان الوقت يسمح بذلك، كنت أقرأ الروايات وكتب المغامرات التي كانت خالة لي تهديها لي، وما زلت ممتنا لها بذلك. أتذكر بشكل خاص الكتب التي تحتوي على قصص من أستراليا، حول أول رحلة لماجلان حول العالم، ورواية لتسلق الجبال من جنوب تيرول دولوميت. عندما كبرت قليلا، قمت ببناء نماذج حقيقية للطائرات، وكنت أتمنى الحصول عليها كهدية من «الطفل المسيح» في عيد الميلاد المسيحي. كنت متحمسًا أيضا للحرف اليدوية الإلكترونية وتمكنت (في ذلك الوقت، حوالي عام 1960) من مفاجأة شقيقاتي بعروض الشرائح الثابتة والبث الصوتي والتسجيلات عبر الراديو.

في أمسيات الشتاء الطويلة في مرحلة دراستي الابتدائية، قضيت أيضا ساعات طويلة على الراديو، أبحث عن محطات من قارات بعيدة على ترددات الموجات القصيرة. كنت مفتونا بشكل خاص بالقنوات العربية والموسيقى العربية، اهتمام عفوي لا يمكنني تحديد مصدره، وكنت الوحيد الذي كان يهتم بهذا في قريتنا الفلاحية في الخمسينيات. عندما كنت في الجيمنازيوم (في سن 14)، أمضيت جزءًا كبيرًا من إجازة الصيف والشتاء في بحيرة آخن، حيث كنت ضيفا في بيت القساوسة لكاهن كان صديقا لعائلتنا. من هناك كنت غالبًا ما أتجول عدة أيام عبر الوديان الجبلية بجبال كارويندل المتاخمة لبافاريا، حيث توجد أيضا مراعي عائلتنا في جبال الألب.

- هل ساعدت نشأتك في الريف على التأمل الفلسفي المبكر؟

■ بالنسبة لاهتمامي بالفلسفة، لم يتم تحفيزه أو تشجيعه من قبل أي ظروف عائلية، حسب ما أتذكره. ما كان مخططا لي هو أن أنهي ثماني سنوات من المدرسة الابتدائية، ثم أعمل في المزرعة التي كنت سأرثها. كانت الأسئلة الفلسفية تُطرح علي بشكل عفوي. أتذكر لحظة معينة قبل تمدرسي (عندما كنت في الخامسة من عمري تقريبًا) عندما أدركت فجأة- في أمسية خريفية عندما كان الظلام يعم غرفة منزلنا- بأنني موجود، وشعرت بأن رأسي كانت تضرب بجدار لا يمكن اختراقه وأنا أحاول أن أفهم هذا المن أين. لربما كان هذا هو السبب الذي جعلني، بعد أكثر من 10 سنوات- في المدرسة الثانوية- مفتونا جدًا بقراءة محاضرة هيدغر الافتتاحية في فرايبورغ، التي تناول فيها سؤال ليبنيز: «لماذا يوجد الوجود على الإطلاق وليس بالأحرى لا شيء؟». قد يكون التفكير الفلسفي في مرحلة الطفولة مفيدًا لأنني- بصفتي ابنا لمساعد رجل دين- أديت خدمتي كصبي مذبح في الكنيسة في وقت مبكر جدًا، حيث جعلتني النصوص والرموز الليتورجية على اتصال بعالم المتعالي. كصبي مذبح، كنت مفتونا بشكل خاص بالصيغ والصلوات باللغة اللاتينية، التي كان علي أن أتعلمها عن ظهر قلب، حتى لو لم أفهم اللغة على الإطلاق. وفي هذا الصدد، كان لتعلم اللغة اللاتينية في «الجيمنازيوم» سحر خاص علي، حيث تمكنت فيما بعد من فهم كل شيء بدقة وتفسيره لنفسي.

> عندما كنت مراهقًا، ربما كانت أزمة كوبا عام 1962 هي الحدث السياسي الحاسم بالنسبة لي، لأنها جعلتني أدرك خطر تدمير الإنسان لذاته

وخلال الفترة التي قضيتها في المدرسة الثانوية، كانت مناقشاتي العديدة في بيت القسيس على بحيرة آخن مع الكاهن المذكور سابقا مفيدة بالتأكيد، وقبل عودته إلى النمسا، كان أستاذا للفلسفة في كلية لاهوتية إنجليزية بمدراس Madras، (تشيناي Chennai الآن) بالهند. أتذكر جيدًا مناقشاتنا حول براهين وجود الله والتوحيد (ومن بعد، عندما كنت في الجامعة، أيضا حول الجدل بين هانز كونغ Hans Küng والفاتيكان).

- ما هي الأحداث السياسية التي طبعتك في سن المراهقة؟

■ وعيت السياسة العالمية قبل سنوات مراهقتي. أتذكر دبابات جيش الاحتلال الفرنسي، التي كانت تتوقف بين الحين والآخر أمام منزلنا (عوضت فرنسا الولايات المتحدة كقوة محتلة في التيرول بعد الحرب العالمية الثانية). كان من الرائع بالنسبة لي رؤية الدبابات التي كانت تقترب من المنزل وتتوقف، والفتحات تفتح فجأة والجنود يقفون عاليا على الدبابات. أتذكر أيضا بوضوح اليوم مايو -1955 في سنتي الأولى في المدرسة- عندما تم بث إعلان معاهدة الدولة على الهواء مباشرة من بلفيدير بفيينا ذلك الصباح في فصل مدرستنا الابتدائية. فيما بعد، كان الانسحاب اللاحق لجميع قوات الاحتلال من النمسا من الأهمية بمكان بالنسبة لي عندما كنت طفلا. كان للقاء تاريخ موطني تأثير حاسم على فهمي للسياسة كواحد من سكان التيرول، حتى عندما كنت في المدرسة الابتدائية. أثر وعيي بتقسيم البلاد- مع انفصال جنوب التيرول بعد الحرب العالمية الأولى- على فهمي للسياسة العالمية منذ سن مبكرة. لقد صدمت من أحداث عام 1956 في أعقاب الانتفاضة المجرية وغزو المجر من قبل القوات السوفياتية. غالبًا ما أبقتني الأخبار حول هذا الموضوع مشغولا فترة طويلة في المساء قبل أن أنام. عندما كنت مراهقا، ربما كانت أزمة كوبا عام 1962 هي الحدث السياسي الحاسم بالنسبة لي، لأنها جعلتني أدرك خطر تدمير الإنسان لذاته. كما كنت قلقا للغاية بشأن اغتيال الرئيس كينيدي. ما زلت أتذكر الأمسية في المدرسة الداخلية بـ«جيمنازيوم» دير ستامس Stams عندما أبلغنا المدير بوفاة كينيدي عبر نظام مكبرات الصوت (في ذلك الوقت كنت مفتونا بشكل خاص بخطاب كينيدي، الذي أعلن فيه عن هدف الرحلة إلى القمر). في بداية سنوات دراستي الجامعية (1968) كان التمرد الطلابي (من بينهم هربرت ماركوز، أحد طلبة هيدغر) حدثا تعاملت معه بشكل نقدي. بالمناسبة، نشرت مقالتي الأولى حول هذا الموضوع في يوليوز 1968 في مجلة جامعة إنسبروك تحت عنوان «نقد بلا مبدأ؟».

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة الثانية

قال إنه تسلم أعلى وسام أكاديمي بالنمسا بعد حصوله على الدكتوراه

كوكلر: أصبت بمرض خطير في القلب وعمري لم يتجاوز 13 سنة

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– كيف كان انتقالك إلى الدراسة في جامعة إنزبروك؟

■ بسبب مرض خطير في القلب أصابني في الثالثة عشرة من عمري، تم إعفائي من حضور الفصل الدراسي الأخير (الثامن) في بلدتي. ونظرًا لأنني لم أتمكن من العمل في مزرعة والديّ كما كان مخططا، فقد انتهزت الفرصة للالتحاق بمدرسة عليا. أكثر ما ألهمني في شبابي كان، كما نقول بالألمانية، هو «العطش للمعرفة»، والرغبة في المعرفة. بعد أن اجتزت امتحان القبول بامتياز، انتقلت في خريف عام 1962 إلى المدرسة الداخلية لـ«جيمنازيوم» ماينهاردينوم Meinhardinum في دير شتامس Stams بأوبرإنطايل Oberinntal. كنت الأفضل في المؤسسة ابتداء من القسم الأول، وكنت متحمسًا بشكل خاص للمواد اللاتينية واليونانية القديمة والرياضيات و- في القسم الأخير- الفلسفة. ونظرًا لأن اللغة الإنجليزية لم تكن جزءًا من مقرر الدراسة في ذلك الوقت، فقد تعلمت هذه اللغة، بالإضافة إلى الإيطالية والفرنسية في أوقات فراغي. في يونيو 1967، وبالضبط في الأسبوع الذي اندلعت فيه حرب الأيام الستة في فلسطين ، أنهيت دراستي الثانوية في شتامس بامتحانات الألمانية والرياضيات واليونانية القديمة (كان التقائي بالسياسة العالمية- مع أخبار الحرب في فلسطين - في الأيام الأخيرة المركّزة من الامتحانات في المدرسة الثانوية تجربة أخرى ذات أهمية خاصة بالنسبة لي بعد سبع سنوات عندما زرت المنطقة العربية). حصلت على أفضل النقط الممكنة في جميع المواد الدراسية، وبعد الانتهاء من جميع الاختبارات، ألقيت كلمة باللغة اليونانية نيابة عن الخريجين، بحضور مفتش المدرسة الإقليمية في التيرول. في حفل الوداع الرسمي، بحضور رئيس البرلمان التيرولي، دعيت إلى إلقاء خطاب آخر نيابة عن جميع الخريجين. وفي خريف عام 1967 تمكنت من بدء دراستي في جامعة إنسبروك. أثناء انتقالي للدراسة الجامعية، تلقيت نصائح قيمة من مدرس الفلسفة ومعلم اللغة اليونانية في «جيمنازيوم»، السيد فولف Wolf. كما تلقيت التشجيع لاختيار دراسة الفلسفة في الجامعة من مدير «الجيمنازيوم» حيث أنهيت تعليمي الثانوي، الدكتور بيرنهارد سلوفسا BernhardSlovsa، الذي أصبح فيما بعد رئيسا لدير شتامس.

> أنشأت وزارة العلوم منصبا خاصا بي كأستاذ مساعد في جامعة إنسبروك، وهو منصب توليته فورًا بعد الدكتوراه في مارس 1972

– هل كان اختيار دراسة الفلسفة بديهيا بالنسبة لك، أم كانت هناك تخصصات أخرى تجذبك؟

■ في المدرسة الثانوية، في سن السادسة عشرة، كنت أعرف أنني أريد التخصص في الفلسفة. لقد أكدت نفسي ضد كل مقاومة وكل المخاوف. أتذكر جيدًا كيف أراد أحد الأقارب التقليل من أهمية اختياري لدراسة الفلسفة بالإشارة إلى أن الفلسفة «فن لا يضمن الخبز». في اختياري لتخصص دراستي الجامعية، لم يشجعني مدرس الفلسفة في «الجيمنازيوم» فقط، بل أيضًا القس الكاثوليكي الذي ذكرته سابقا، والذي كان صديقا لعائلتنا وسبق له تدريس الفلسفة في الهند.

فكرت أيضًا في ذلك الوقت في اختيار الرياضيات أو اليونانية القديمة كتخصص ثان، وفي الأخير قررت اختيار علم النفس كمادة جامعية إضافية، وهو اختيار لم أندم عليه، فلا يمكن، من وجهة نظري، للنقد الفلسفي للمعرفة الاستغناء عن المعرفة الراسخة بآليات اشتغال الإدراك البشري. بدافع الاهتمام، حضرت أيضا محاضرات في الأدب والتاريخ الألماني، بالإضافة إلى حضور العديد من الأنشطة الجامعية متعددة التخصصات (بما فيها العلوم الطبيعية)، والتي كنت أشارك فيها بنشاط.

– في أية مدة زمنية أنهيت دراستك؟

■ أكملت دراستي الجامعية في أقصر وقت ممكن في 4 سنوات وفقًا للوائح القانونية في ذلك الوقت، في التخصص الرئيس في الفلسفة وتخصصي الإضافي علم النفس (1967-1971). وقد حصلت على الاستحقاق الأخير في نوفمبر 1971.

– على أي موضوع فلسفي اشتغلت في أطروحتك (الدكتوراه)؟

■ كان موضوع رسالة الدكتوراه هو «جدلية الموضوع- الموضوع في الفينومينولوجيا المتعالية: مشكلة الوجود بين المثالية والواقعية». في رسالتي، كنت مهتمًا بشكل أساسي بالنقد المعرفي لفينومينولوجية إدموند هوسرل. ونشرت رسالتي ككتاب عام 1974.

– هل حصلت على الدكتوراه بامتياز؟ وما هو نوعه وأهميته؟

■ حصلت على درجة الدكتوراه بميزة sub auspiciis praesidentis rei publicae («تحت رعاية رئيس الجمهورية»)، وهو أعلى وسام أكاديمي يمكن لجمهورية النمسا أن تمنحه. ويعود هذا التقليد إلى العصر الإمبراطوري (sub auspiciis imperatoris). فالخريج الجامعي الذي يكمل جميع فصول التعليم الثانوي بامتياز، ويجتاز جميع الاختبارات الصارمة في الجامعة بامتياز كذلك، وتحصل رسالة أطروحته بالإجماع من أفراد لجنة المناقشة على ميزة «ممتاز»، ويجتاز كل ذلك في فترة دراسة قياسية، تقترحه الحكومة الفيدرالية النمساوية على رئيس الدولة للحصول على درجة الدكتوراه «sub auspiciis». وكان هذا هو الحال معي. وقد تلقيت خاتمًا ذهبيًا بشعار النبالة لجمهورية النمسا من رئيس الدولة، وهنأني المستشار الاتحادي آنذاك برونو كريسكي Bruno Kreisky، الذي رافقني لاحقًا بإحسان كبير واهتمام بأنشطتي الدولية، على الدكتوراه في رسالة شخصية. وقد حضر الأعضاء البارزون في حكومة مقاطعة التيرول، والعديد من الأساتذة من الجامعة، وكذلك شخصيات من فيينا وألمانيا، حفل تخرجي في فندق أوروبا Europa في إنسبروك، بتمويل من والدتي. كما نظمت بلدتي بوخ في شفاتس أيضا احتفالا كبيرًا على الطراز التيرولي تحت إشراف رئيس البلدية. وقد مهدت الدكتوراه الطريق لي لبدء مهنة أكاديمية. إذ أنشأت وزارة العلوم منصبا خاصا بي كأستاذ مساعد في جامعة إنسبروك، وهو منصب توليته فورًا بعد الدكتوراه في مارس 1972.

> تلقيت خاتمًا ذهبيًا بشعار النبالة لجمهورية النمسا من رئيس الدولة، وهنأني المستشار الاتحادي آنذاك برونو كريسكي، الذي رافقني لاحقًا بإحسان كبير واهتمام بأنشطتي الدولية

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة الثالثة

كان العامل الحاسم لمنحي هذه الجائزة هو دعوتي إلى حل عادل للقضية الفلسطينية ونزع السلاح النووي

كوكلر: منحت وسام الشرف تقديرا لعملي داخل منظمة التقدم الدولية

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– شرفتكم جامعة ولاية ميداناو (الفلبين) والجامعة التربوية الحكومية الأرمنية بشهادتي دوكتوراه فخرية، كما خصصت لكم جامعة باموكالي (تركيا) درجة أستاذية فخرية في الفلسفة، ما هي القيمة الرمزية لمثل هذه التشريفات بالنسبة إلى فيلسوف كبير مثلكم؟

■ كانت الجوائز التي ذكرتموها تتعلق أساسًا بمساهماتي في التفسير الثقافي، وفي الحوار بين الحضارات، وكذلك في الفلسفة القانونية ونظرية العلاقات الدولية. أفهم هذه التكريمات كمؤشر على أن مساعيّ الفلسفية يتم فهمها عبر الثقافات وأن مقاربتي وجدت صدى في ساحات وظروف اجتماعية وتاريخية وسياسية مختلفة. ومثل هذا التقديرهو حافز لي لمواصلة مسيرتي.

– حصلتم على تشريفات عديدة أخرى من مؤسسات مختلفة في ربوع العالم، منها وسام الشرف من جمعية الكلية النمساوية (Österreichisches College)، بأية مناسبة ولأي سبب حصلتهم على هذا الوسام»

■ حصلت على وسام الشرف من الكلية النمساوية في عام 1977 تقديراً لخدماتي في تحقيق أهداف وأفكار الكلية النمساوية، وعلى وجه الخصوص لتوسيع «المنتدى الأوروبي ألباخ». كان السبب المباشر – بعد سنوات من الأزمة في أعقاب الاضطرابات الاجتماعية في عام 1968 – هو إعادة تنظيم المنتدى الأوروبي، والذي كان الهدف منه إرسال رسالة إلى العموم. شاركت في المنتدى الأوروبي لأول مرة في عام 1968 وأنا طالب. وفي السنوات التي أعقبت هذا، وبالتعاون مع مؤسس ورئيس الكلية النمساوية أوتو مولدن Otto Molden، حاولت إحياء الفكرة الأصلية للحوار المفتوح بين العلم والمجتمع العابر للحدود الوطنية والثقافية، والتي تم الإعلان عنها في منتدى ألباخ. في إطار أنشطة الكلية النمساوية بجامعة إنسبروك، قمت بتنظيم عدد كبير من مجموعات العمل والندوات والمحاضرات متعددة التخصصات حول مسائل العلم والممارسة. دعوت فلاسفة وعلماء وسياسيين – من بينهم الفيلسوف هانز جورج جادامر وعالم اللاهوت كارل رانر ووزراء العدل والشؤون الخارجية النمساويين – إلى إنزبروك. في إطار عملي، توليت إدارة جمعية الكلية النمساوية في جامعة إنسبروك، وشاركت في اجتماعات مجلس الإدارة ولجنة البرنامج للمنتدى الأوروبي ألباخ، وتم تعييني من قبل رئيس الكلية النمساوية كمسؤول عضو في «دائرة التكوين الداخلي».

> توليت إدارة جمعية الكلية النمساوية في جامعة إنسبروك، وشاركت في اجتماعات مجلس الإدارة ولجنة البرنامج للمنتدى الأوروبي ألباخ، وتم تعييني من قبل رئيس الكلية النمساوية كمسؤول عضو في «دائرة التكوين الداخلي»

– السؤال نفسه فيما يخص الميدالية الفخرية لمكتب السلام الدولي بجنيف؟

■ مُنح لي وسام الشرف من مكتب السلام الدولي (جنيف) في عام 1992 في حفل أقيم في جامعة بانتيوس في أثينا تقديراً لعملي داخل منظمة التقدم الدولية. كان العامل الحاسم لمنحي هذه الجائزة هو دعوتي إلى حل عادل للقضية الفلسطينية، ولحوار الشمال والجنوب، ونزع السلاح النووي، ولكن أيضًا من أجل الإصلاح الديمقراطي للأمم المتحدة. في ثمانينيات القرن الماضي، وبالتعاون مع الرئيس الفخري لمكتب السلام، الحائز على جائزة نوبل للسلام سين ماكبرايد Seán MacBride من أيرلندا، أطلقت نداءً عالميًا ضد الحرب النووية وعملت لكي تناقش الجمعية العامة للأمم المتحدة في محكمة العدل الدولية في لاهاي استخدام الأسلحة النووية. في الحفل الذي أقيم بأثينا، بالإضافة إلى، تسلم وزير العدل الأمريكي الأسبق رامسي كلارك والمغنية اليونانية ووزيرة الثقافة ميلينا ميركوري وإيزبيت بالم، أرملة رئيس الوزراء السويدي المقتول، ميدالية الشرف لمكتب السلام معًا.

– ما هي الجوائز والتشريفات الأخرى التي حصلتم عليها؟

■ سأذكر بعض الجوائز فقط:
– نيابة عن مؤسسة «الوحدة الدولية»، منحني رئيس الدولة الهندية الأسبق جياني زيل سينغ (1990) جائزة «رسول التفاهم الدولي» في حفل أقيم في نيودلهي.
– تقديراً لخدماتي في مجال حقوق السكان المسلمين في ميداناو (الفلبين)، منحني سلطان ماراوي ورئيس المجلس الأعلى للمجلس التشريعي لسلطنة ميداناو اللقب الملكي «داتو» في عام 2004 تقديراً لجهودي في الحوار بين الإسلام والمسيحية. وفقًا للتقاليد السائدة في ميداناو، تبناني رمزيا السلطان كابن له وفي الوقت نفسه حصلت على (اللقب الفخري) «أمير المحبة والتضامن». وحضر الحفل الأمين العام لاتحاد سلطنات ميداناو ونائب حاكم مقاطعة لاناو ديل نورتي ومسؤولون آخرون.
– منحتني الأكاديمية الفلسفية لأرمينيا بالاشتراك مع الأكاديمية الدولية للفلسفة الميدالية الكبرى «ديفيد الذي لا يقهر» في عام 2009، وهي جائزة سميت على اسم أهم فيلسوف في أرمينيا.
– في عام 2014، في حفل أقيم في مانيلا، مُنحتُ جائزة غوسي Gusi للسلام، والتي غالبًا ما توصف بأنها «جائزة نوبل الآسيوية» وتُمنح بناءً على مرسوم صادر عن رئيس جمهورية الفلبين.

– في عام 1998 كنتم أستاذا زائرًا في جامعة مالايا في كوالالمبور (ماليزيا) وفي عام 2004 عُينتم محاضرًا زائرًا في جامعة البوليتكنيك في الفلبين، ما نوعية المحاضرات والدروس التي كنتم تقدمونها للطلبة الماليزيين والفلبينيين؟

■ كانت مواضيع دوراتي على شكل محاضرات وندوات كجزء من برنامج درجة الماجستير «الدراسات الحضارية» – في جامعة مالايا في كوالالمبور: «الأسس الفلسفية للحوار بين الحضارات»؛ «اعتبارات جديدة حول «صراع الحضارات»؛ و«العلاقات بين الشمال والجنوب بعد انتهاء الصراع بين الشرق والغرب». ألقيت في مانيلا محاضرات – من بين أمور أخرى – حول موضوع «مستقبل الأمم المتحدة» و«الطبيعة المتغيرة للعلاقات الدولية ومستقبل النظام العالمي»؛ و«أزمة الاقتصاد العالمي ومطالبات العدالة العالمية». بالإضافة إلى جامعة البوليتكنيك في الفلبين، ألقيت عدة محاضرات في جامعة الفلبين في مانيلا حول قضايا النظام العالمي والعدالة الجنائية الدولية والحوار بين الحضارات والإرهاب.

> في عام 2014، في حفل أقيم في مانيلا، مُنحتُ جائزة غوسي Gusi للسلام، والتي غالبًا ما توصف بأنها «جائزة نوبل الآسيوية» وتُمنح بناءً على مرسوم صادر عن رئيس جمهورية الفلبين

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة الرابعة

أكد أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار الهوية الثقافية للدول

كوكلر: التعايش السلمي بين الدول لا يمكن ضمانه إلا على المدى الطويل

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– انتخبتم كرئيس مشارك للأكاديمية الدولية للفلسفة عام 2010، ما هي أنشطة هذه الأكاديمية وأهميتها في ما يخص البحث الفلسفي؟

■ أدرت الأكاديمية الدولية للفلسفة مع مؤسسها البروفيسور جورج بروتيان Georg Brutian من أكاديمية العلوم في أرمينيا. كان الهدف الرئيسي هو التبادل العالمي للأفكار بغض النظر عن الحدود السياسية والأيديولوجية وتمثلات العالم. نظمت الأكاديمية عدة ندوات بحثية، على سبيل المثال في أثينا عام 2006، بالتعاون مع الجمعية اليونانية للدراسات الفلسفية، حول آفاق الفلسفة في القرن الحادي والعشرين؛ وفي 2007 في لوس أنجلوس (الولايات المتحدة الأمريكية)، بالتعاون مع جامعة كاليفورنيا، حول المتافلسفة؛ وفي عام 2012 في جروان، أرمينيا، بالتعاون مع الجامعة التربوية الحكومية، حول الفلسفة الاجتماعية. كما أصدرت الأكاديمية «مجلة الأكاديمية الدولية للفلسفة»، التي تصدر إلى اليوم باسم مجلة «الحكمة».

> تأسست «جمعية هانس كوكلر السياسية والفلسفية» بمبادرة من شخصيات من الفلبين في مانيلا.وتهتم الجمعية بتحليل ومناقشة ومواصلة النهج الفلسفي الذي طوره كوكلر في مجال السياسة الدولية

– انضممتم عام 2018 إلى كلية أكاديمية الدبلوماسية الثقافية في برلين بألمانيا، ماذا تستطيع مثل هذه الدبلوماسية تقديمه في إطار حوار الثقافات، الذي تشتغلون عليه منذ سنوات، والذي سنرجع له لاحقا؟

■ في أكاديمية الدبلوماسية الثقافية أقوم بتدريس «الاتجاهات المستقبلية في الدبلوماسية الثقافية والعلاقات الدولية». في كل فصل دراسي أقوم بتدريس الطلاب في هذه الأكاديمية، الذين يأتون من جميع الثقافات ومن جميع القارات، من حوالي ثلاثين دولة. أسلوبي في محاضراتي يكمن في التأكيد على أن التعايش السلمي بين الدول لا يمكن ضمانه إلا على المدى الطويل، وفقط إذا أخذ المرء بعين الاعتبار الهوية الثقافية وتحترم الدول بعضها البعض ثقافيًا وتبتعد عن «التبشير» كما مارسته الدول المستعمرة لفترة طويلة. تلعب الدبلوماسية الثقافية إذن دورًا مركزيًا في هذا الصدد. يجب أن تكون هذه الديبلوماسية أكثر من مجرد دعاية للدولة المعنية «نيابة عنها»، بل يجب أن تكون حوارًا وتكريم ثقافات البلدان الأخرى في بلدانها. كما يجب أن تمارس الدبلوماسية الثقافية ليس فقط في إطار ثنائي ضيق، بل في إطار شامل متعدد الأطراف، وبهذه الطريقة فقط يمكنها مواجهة «صراع الحضارات».

– أسستم رفقة آخرين عام 972 منظمة التقدم الدولية (I.P.O.)، ما هي طبيعة هذه المنظمة وما هي أهدافها؟

■ تفهم منظمة التقدم الدولية «التقدم» بالمعنى الفلسفي الشامل – أي باعتباره طريق الإنسانية إلى فهم أعمق للواقع، هذا هو أساس التسامح الاجتماعي والاحترام المتبادل بين الشعوب والدول. يتجاوز هذا التأكيد التقدم التقني ويشمل الاعتبارات الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية. وكما تمت صياغة ذلك في الجمعية التأسيسية في عام 1972، لا يمكن ضمان السلام على المستوى العالمي إلا من خلال التقدم بهذا المعنى – كزيادة في قدرة الناس على التفكير النقدي. فالنجاحات في التحكم التقني في الطبيعة لا تؤدي إلى تدمير الإنسانية إذا كان هناك «تصحيح» أخلاقي لهذه النجاحات يقوم على الهوية الثقافية والاحترام المتبادل، على المستوى الفردي وكذلك الجماعي. وقد رافقنا هذا الاقتناع في أنشطتنا على مدار الخمسين عاما الماضية. ولهذا السبب سعت المنظمة منذ البداية إلى العمل مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو). منذ عام 1977، تتمتع المنظمة أيضا بمركز استشاري لدى المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة في نيويورك.

– أسستم كذلك مجموعة منطقة الألب الأوروبية Euregio Alpina وكنتم أمينا عامًا لها من سنة 1973 إلى سنة 1977، بأي هدف أسستم هذه المجموعة.

■ في عام 1971، وكنت لا أزال طالبًا، قمت بتنظيم ندوة دولية حول «المهمة الأوروبية لمنطقة جبال الألب» في مدينة إنزبروك، حيث دعوت ليس فقط شخصيات من منطقة جبال الألب بأكملها – من فرنسا إلى سلوفينيا – ولكن أيضا الكاتب العام لمجلس أوروبا آنذاك. كان الهدف من جهودي هو إظهار أن التعاون العابر للحدود داخل منطقة وشبكة علاقات نمت تاريخيًا – عبر الحدود الوطنية – هو مساهمة مهمة في السلام في أوروبا. ونتيجة للندوة، تم تأسيس «مجموعة عمل بلدان جبال الألب» في عام 1972 بمبادرة التيرول، والتي شاركت فيها الدول الرئيسية في منطقة جبال الألب.

> في عام 1971، وكنت لا أزال طالبًا، قمت بتنظيم ندوة دولية حول «المهمة الأوروبية لمنطقة جبال الألب» في إنزبروك، حيث دعوت ليس فقط شخصيات من منطقة جبال الألب بأكملها - من فرنسا إلى سلوفينيا - ولكن أيضا الكاتب العام لمجلس أوروبا آنذاك

كانت مهمة الندوة الدولية لمجموعة منطقة الألب الأوروبية الآنفة الذكر– والتي حضر اجتماعها التأسيسي في مقر البرلمان الإقليمي لمنطقة التيرول بمدينة إنسبروك ممثلون من جميع بلدان جبال الألب – من بينهم الرئيس السويسري السابق فون موس، وحاكم التيرول، إدوارد فالنوفر، وممثلون عن أقسام جبال الألب الفرنسية– تطوير الأساس العلمي للتعاون العابر للحدود، بما في ذلك الإطار القانوني لهذا التعاون.

بصفتي كنت أمينا عامًا للمجموعة، عملت مع رئيس مجموعة منطقة الألب الأوروبية، ومحافظ منطقة الفوخاخلبيرغ النمساوية، د. هربرت كيسلر، أيضا على التنسيق الوثيق مع المجلس الأوروبي في ستراسبورغ. وتم تبني مفهومنا للتعاون العابر للحدود على المستوى الإقليمي من قبل الاتحاد الأوروبي، والذي يستخدم أيضا مصطلح «Euregio» لهذا الغرض.

– بعد إحالتكم على المعاش، أسست جمعية هانس كوكلر. ما هي أسباب وأهداف هذه الجمعية، وكيف يمكن للمرء الانضمام إليها؟

■ تأسست «جمعية هانس كوكلر السياسية والفلسفية» بمناسبة عيد ميلادي في 18 أكتوبر 2003 بمبادرة من شخصيات من الفلبين في مانيلا. كما ذكر المرء في إعلان التأسيس، تهتم الجمعية بتحليل ومناقشة ومواصلة النهج الفلسفي الذي طوره كوكلر في مجال السياسة الدولية. يتعلق الأمر في المقام الأول بانتقاد سياسة القوة وإصلاح جوهري لمنظومة الأمم المتحدة. نظمت الجمعية عددًا من المؤتمرات والموائد المستديرة، منها على سبيل المثال ندوة حول مشاكل الإرهاب وأخرى حول حقوق الشعوب الأصلية وثالثة حول مسائل القانون الدولي للبحار. في عام 2016 ، أطلقت الجمعية مبادرة جديدة للتنمية السلمية في منطقة ميندناو.

الحلقة الخامسة

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

اعتبر أن وعي الذات أكثر من مجرد صفة إضافية للطبيعة الإنسانية

كوكلر: كرامة الإنسان تكون غير قابلة للمس بها

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– في بداية نشاطكم الفلسفي كأستاذ بجامعة إنزبروك، وفيما بعد رئيس قسم الفلسفة بها، ركزتم اهتمامك على الفينومينولوجيا. ما هي المواضيع التي كانت تهمكم بالدرجة الأولى في هذا التخصص الفلسفي؟

■ أتى اهتمامي بالفينومينولوجيا في البداية من نظرية المعرفة. لقد درست عقيدة الأدلة لفرانز برينتانو ومن هناك وصلت إلى تحقيقات هوسرل الظاهراتية. كان أحد اهتماماتي الرئيسية نقد المثالية الأنطولوجية، التي طورها هوسرل في المنهج التجريبي والميتافيزيقي النقدي في الأصل. كان تحليل العلاقة بين الذات والموضوع كما يظهر من «الاختزال التجاوزي» لهوسرل – أي عودة جميع المحتويات الإدراكية إلى الوعي الصافي – ذا أهمية خاصة بالنسبة إلي. وفي النهاية أولت الفينومينولوجيا من منظور الشك المعرفي، كما تناولت تطبيق ا لفينو مينو لو جيا كمنهج بحث في علم التأويل والأنثروبولوجيا وفي مجال الفلسفة القانونية والفلسفة السياسية.

> أتى اهتمامي بالفينومينولوجيا في البداية من نظرية المعرفة. لقد درست عقيدة الأدلة لفرانز برينتانو ومن هناك وصلت إلى تحقيقات هوسرل الظاهراتية

– من بين المؤتمرات المهمة التي نظمتم كان هناك المؤتمر الدولي الثامن للفينومينولوجيا الذي عقد بمدينة سالتسبورغ النمساوية. وكان أول مؤتمر للفينومينولوجيا في النمسا على الإطلاق. ما هي المواضيع التي ركز عليها هذا المؤتمر؟

■ كان موضوع المؤتمر في سالزبورغ هو «الجسد والروح في فينومينولوجية هوسرل». تم تنظيم المؤتمر في سالزبورغ من قبل المعهد العالمي للبحث والتعليم المتقدم في علم الظواهر (الولايات المتحدة الأمريكية) بالاشتراك مع الجمعية النمساوية لعلم الظواهر. وقد نظم تحت رعاية الرئيس النمساوي بمبادرة مني. كنت أمينا عاما للمؤتمر وتم تناول الموضوع العام في المحاور الفرعية التالية: الجسد كمشكلة مركزية في الفينومينولوجيا، السؤال المتكرر عن المثالية، العقل والجسد في الطب النفسي الفينومينولوجي، أفق الطبيعة والوجود.

– قادتكم الفينومينولوجيا إلى ربط علاقة فكرية مهمة مع الكاردينال كارول فويتيلا من كراكوف (البابا يوحنا بولس الثاني فيما بعد)، بحكم معرفتكم بفكر هذا البابا كيف كان تصوره الأنثروبولوجي؟

■ طور كارول فويتيلا، تحت تأثير تلميذ هوسرل البولندي رومان إنجاردن Ingarden وبالرجوع بشكل خاص إلى ماكس شيلر – ممثل الشخصانية وممثل الاتجاه الواقعي للفينو مينو لو جيا – أنثروبولوجيا تتجاوز بشكل أساسي المنهج الأرسطي. لا يكتفي فويتيلا بتعريف البشر ببساطة ككائنات حية لها خاصية تفكير إضافية تتمثل في اللوغوس (lógos)، وهي الخاصية التي تميزهم عن الحيوانات، بل ترتبط المصطلحات الأنثروبولوجية المركزية له، كما طورها من فينومينولوجيا هوسرل، باعتباره الإنسان كـ«ذات». يعتبر وعي الذات في نظره أكثر من مجرد صفة إضافية للطبيعة الإنسانية؛ ولا يمكن اختزاله في ظروف طبيعية موضوعية. وفقا لتصوره هذا – وفي عدم قابلية تشييء الإنسان– فإن كرامة الإنسان تكون غير قابلة للمس بها. وهذا يعني أيضا تأكيدًا جديدًا على الفلسفة الكاثوليكية التقليدية، التي حددتها الطوماوية – وبالتالي الأرسطية. وبناءً على طلب الكاردينال فويتيلا آنذاك عام 1975 قدمت في مؤتمر دولي في جامعة فريبورغ (سويسرا) حول الأنثروبولوجيا الظاهراتية محاضرة بعنوان «المفهوم الديالكتيكي لتقرير المصير».

لم يكن غريبا أنه بعد اختيار فويتيلا بابا الفاتيكان، نشأ نقاش حيوي حول توافق الأنثروبولوجيا الظاهراتية مع التعاليم الكاثوليكية (المدرسية) التقليدية. ومع ذلك، أكد لي، في لقاء لي معه في الفاتيكان بعد عام على انتخابه، أنه سيظل يشعر بالالتزام تجاه الموقف الفينومينولوجي، حتى لو لم يعد بإمكانه في مكتبه الجديد المشاركة مباشرة في المناقشات ومؤتمرات الجمعية الفينومينولوجية.

– شاركتم أيضا في تأسيس الجمعية النمساوية للفينومينولوجيا في سبعينيات القرن الماضي، هل استطاع الفلاسفة والمفكرون النمساويون بناء طريق خاص في الفينومينولوجيا، أم ظلوا في المناخ العام لهذا التخصص؟

■ أسست الجمعية النمساوية لعلم الظواهر عام 1980 مع البروفيسور كارل أولمر Karl Ulmer ، الذي أكمل تأهيله عند هيدجر عام 1944 بأطروحة حول التكنولوجيا الحديثة. كان اهتمامنا هو جعل الفينومينولوجيا مثمرة لتحليل العالم الحديث. أكدنا بشكل خاص على المنهج الذي وضعه هوسرل – أيضا ردًا على تحليل هيدغر الوجودي – في محاضرته حول «أزمة العلوم الأوروبية». وبعد وفاة البروفيسور أولمر (1981) في وقت مبكر جدًا، واصلت جهودي لتحقيق توجه «عالم الحياة» للفينومينولوجيا على أساس واقعي، وبالتعاون مع البروفيسور مايكل بينيديكت Michael Benedikt من جامعة فيينا، أسست جمعية الفينومينولوجيا والنقد الأنثروبولوجي، وهي جمعية توجد حتى يومنا هذا. في سلسلة من الندوات والمحاضرات والمؤتمرات متعددة التخصصات، حاولنا أن نضع توجهات جديدة، محاولين تطبيق المنهج الفينومينولوجي على المشكلات الاجتماعية بطريقة نقدية. ومن الأمثلة على تلك اللقاءات كان هناك المؤتمر الذي نظمناه في فيينا عام 1990 حول موضوع «الجمهورية العلمية وعالم الحياة – إدموند هوسرل وألفريد شوتز Alfred Schütz في أزمة الحركة الفينومينولوجية». كان همنا الرئيس هو تلخيص وتحديث المنهج الفينومينولوجي بما يتجاوز الفلسفة المجردة للوعي لدى هوسرل الراحل.

> أسست الجمعية النمساوية لعلم الظواهر عام 1980 مع البروفيسور كارل أولمر Ulmer Karl، الذي أكمل تأهيله عند هيدجر عام 1944 بأطروحة حول التكنولوجيا الحديثة

– هل مازالت الفينومينولوجيا حاليا قوية في تأويلاتها أم تم تجاوزها؟

■ كطريقة فلسفية، لا تزال الفينومينولوجيا ذات أهمية. ربما لم تعد توجد مدرسة بالمعنى الضيق للكلمة من شأنها أن تتنافس مع مدارس فلسفية أخرى من أجل الهيمنة على الخطاب. وكما يبدو لي، عرفت الفينومينولوجيا أكثر أوقاتها خصوبة عندما طبقها هيدغر والمفكرون الملهَمون منه على التحليل الوجودي، وعندما صاغ جون بول سارتر أنثروبولوجيا وجودية، وكما – حتى السبعينيات – طبق جادامر بتأويله الفينومينولوجي الطريقة التي تبناها هيدجر في العلوم الإنسانية، والتي استفادت منها مدرسة التحليل الوجودي في الطب النفسي لودفيغ بينسفانغر (Ludwig Binswanger). بعد هذا الوقت كان هناك مرة أخرى – حتى يومنا هذا – تيار فينومينولوجي قوي مؤثر عالميًا، وهو اتجاه كان أيضا متعدد التخصصات، محوره كانت الفيلسوفة البولندية وطالبة رومان إنجاردن، الأستاذة آنا تيريزا تيمينيكا Anna-Teresa Tymieniecka، بـ«المعهد العالمي للفينومينولوجيا». طور هذا المعهد العديد من الأنشطة في جميع القارات، وخاصة في مجال الثقافات وبمشاركة فلاسفة من العالم الإسلامي أيضا. تم اختبار المنهج الفينومينولوجي في «بيئات معيشية» مختلفة. وقد شارك إيمانويل ليفيناس وجاك دريدا أيضا في هذه المناقشات، التقيت بهما في اجتماعاتنا في السبعينيات من القرن الماضي. في تقديري، لم يتم «تجاوز» الفينومينولوجيا بعد من قبل مدارس أخرى، بل تم «استبدالها» بتيارات أخرى فقط من حيث تأثيرها الاجتماعي (العام). من المشاكل التي تعاني منها الفينومينولوجيا في الخطاب الفلسفي إلى وقتنا هذا هناك بالتأكيد الخلافات في الفكر الفينومينولوجي – الواقعية والمثالية – الذي أدى إلى تفكك الحركة في وقت مبكر، وانتهى بهوسرل نفسه إلى مثالية وجودية، تركته وحيدا تحت ظل شجرة فيخته Fichte.

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة السادسة

أكد أن هيدغر كان قلقا بشأن المزاعم والادعاءات التي وجهت إليه

كوكلر: عملت مع مجموعة من طلبة هيدغر

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– تعتبرون من المؤولين الكبار لفلسفة هيدغر، وقد أشار بريطو بإسهاب إلى مساهمتكم في هذا الإطار في مؤلفه الضخم «هايدغر وترنيمة المقدس» Heidegger et l'Hymne du sacré»، كيف تقيمون عمل بريطو هذا، مع العلم أنه لاهوتي؟

■ بريتو هو عالم لاهوت يطرح سؤال الله والإلهي ليس بطريقة عقيمة وعقائدية، بل في السياق الأوسع للتجربة الإنسانية وتفسير العالم، وهو سياق يتضمن بلا شك الشعر والفلسفة أيضا. في العمل الضخم الذي ذكرتموه، نجح في بناء نقاش بناء، حوار كما فعل مع مفكرين وشعراء «لاهوتيين» مثل هيجل وهولدرلين. ونتيجة لذلك، فإن منهج هيدغر، الذي كان غالبًا في خلاف مع اللاهوت الكاثوليكي العقائدي، يظهر في ضوء جديد ويمكن الوصول إليه بسهولة أكبر من طرف أولئك الذين – من وجهة نظر لاهوتية – يشككون في تفسير «الكينونة»، التي يضعها (أي هيدغر: إضافة المترجم) بالقرب من الإلهي. بريتو هو أيضا أستاذ في علم التأويل، وقد نجح في ربط الفروق الدقيقة المتعددة لمشكلة الله والخطابات الحالية للفلسفة والفينومينولوجيا. وعمله المذكور أعلاه هو عبارة عن خلاصة وافية رائعة تعرف كيف توضح موضوعية تفكير هيدغر باستخدام مثال أحد الأسئلة المركزية.

> أتعامل مع موضوع السياسة في فكر حياته، والذي نوقش مؤخرا بشكل جدلي للغاية. هنا أحاول قدر المستطاع أن أساهم في نزع فتيل العاطفة في النقاش من خلال توضيح المصطلحات

– من بين مؤلفاتكم النسقية المهمة عن فلسفة هيدغر هناك «الشك ونقد المجتمع عند هيدغر»، وهو كتاب نشرت ترجمته الأولى بالدار البيضاء عام 2010، ونظرا لأهميته فقد أعيد نشره ببيروت عام 2016 ما هي القيمة المضافة التي أتى بها هذا الكتاب في نظركم في ما يخص تأويل فلسفة هيدغر؟

■ حاولت في هذا العمل إعادة تفسير هيدغر بعيدا عن الفلسفة الجامعية التقليدية، وقد حاولت ألا أقوم بذلك بمصطلحات تقلد لغة هيدغر (بالمناسبة لم يكن هذا يعجبه). ويعد استخدام المصطلحات المحايدة أمرًا حاسمًا لأي تفسير إذا لم يكن المرء يريد الانغماس في الحشو وإعادة تحصيل حاصل. ما لم تتم دراسته بهذه الطريقة في تفكير هيدغر هو أيضا تحليلي لمسألة الكينونة بمعنى الشك ا لفينو مينو لو جي . وهنا أضع أيضا مراجع هيكلية للنقد التجاوزي للمعرفة بواسطة إيمانويل كانط. إن جمع الجوانب المعرفية والاجتماعية – النقدية، كما حاولت القيام بهذا في هذا الكتاب، وخاصة في ما يتعلق بنقد هيدغر للتكنولوجيا، لم يكن موجودا أيضا في الدراسات السابقة عن هيدغر. كان اهتمامي الرئيس في هذا الكتاب هو جعل العلاقة الاجتماعية لتفكير هيدغر معقولة وتبيان أنها نتيجة لانتقاده للمعرفة. وافق بعض الأشخاص من المحيط المجاور مباشرة لهيدغر – مثل شقيقه فريتز هيدغر أو الطلاب السابقين في فترة اشتغاله في فرايبورغ مثل البروفيسور ماكس مولر والبروفيسور هيرمان مورشن – على تفسيري الإضافي هذا.

– نشرت دار التوحيدي بالرباط مؤخرا ترجمة بالعربية لكتاب لكم حول «هيدجروريبة الكينونة»، جمعتم فيه مجموعة من النصوص التي اشتغلتم عليها فيما سبق. كيف يمكن لهذه النصوص مساعدة القارئ على فهم أفضل لهيدغر؟

■ أحاول أيضًا وضع تفكير هيدغر في سياق الخطابات الفلسفية الحالية وإثبات علاقته بواقع الحياة الحالي في الوقت الحاضر. في تأملاتي في الأنثروبولوجيا والأنطولوجيا، أحاول أن أبين أن مسألة الكينونة ليست مسألة أكاديمية مجردة، ولكنها مرتبطة بشكل مباشر بفهم الإنسان لذاته، وأن هناك ترابطا بين السؤال الأنطولوجي والأنثروبولوجي (حتى وإن لم يكن هيدغر يريد أن يُفهم تحليله الوجودي على أنه أنثروبولوجيا بالمعنى التقليدي). نشأت نصوصي المتعلقة بمسألة الله من محاولة شرح كون تفكير هيدغر يتجاوز اللاهوت المسيحي العقائدي، ولكنه تجاوز نابع من التجربة الدينية الأساسية التي تحدد الناس عبر الثقافات. إضافة إلى هذا أتعامل مع موضوع السياسة في فكر حياته، والذي نوقش مؤخرًا بشكل جدلي للغاية. هنا أحاول، قدر المستطاع، أن أساهم في نزع فتيل العاطفة في النقاش من خلال توضيح المصطلحات.

– من بين ما تطرقتم إليه في الكتاب المذكور أعلاه، هناك «قضية» هيدغر والنازية. وأعتبرها شخصيا «قضية»، لأنها ترجع إلى الظهور بانتظام في الساحة الثقافية الغربية. بغض النظر عن التزام هيدغر أو عدم التزامه بالنازية، كيف أثرت هذه القضية على هيدغر الإنسان، وهل نجح في إقناع جمهور قرائه بموقفه في ما يخص هذا الموضوع؟

■ بعد الحرب مباشرة، كان هيدغر قلقا للغاية بشأن المزاعم والادعاءات التي وجهت إليه، كما مر بأزمة شخصية حادة. وفي مقابلة مع التلفزيون الألماني (1969) وصف النقد في هذا الصدد بأنه «سوء فهم كبير». لم يزغ في طريقه الفلسفي من أجل إعادة تعريف تفكير الكينونة وكشف «نسيان الكينونة» للحضارة التقنية الحديثة، ويظهر ذلك أيضا في «رسالة الإنسانية Humanismus– Brief » الشهيرة عام 1946، والتي وجهها إلى جان بوفريه ردًا على الأسئلة التي طرحها عليه. وبعد بضع سنوات من العزلة، استأنف هيدغر أنشطته في إلقاء المحاضرات ولاقى استقبالا جيدًا وبشكل خاص من قبل جمهور أكاديمي شاب، كما اتضح ذلك بشكل مثير للإعجاب في محاضرته العامة الأولى (عن «Das Ding») في يونيو 1950 في أكاديمية الفنون الجميلة بميونيخ. وكان الدعم الذي تلقاه من بعض طلابه الأكثر نفوذا – مثل ماكس مولر (في مجال الفكر المسيحي) وهانس جورج جادامر – مهمًا أيضًا بالنسبة إليه، ولكن قبل كل شيء الاستقبال الإيجابي والحماسي الصريح غالبًا لتفكيره في العقود الأولى بعد الحرب، خاصة في اليابان وفرنسا. وكان هذا واضحًا أيضا في الصداقات التي بناها هيدغر مع الشعراء والفنانين في البروفانس La Provence، حيث تمت دعوته إلى ندوات متعددة عدة مرات. وتجدر الإشارة أيضا إلى أن هانا أرندت التي هاجرت إلى الولايات المتحدة – ورغم كل العداء الذي تعرضت له – استأنفت الحوار مع هيدغر بعد الحرب. لذلك فإن القضية هي أنه كان قادرًا على إقناع الشخصيات المؤثرة في الحياة الفكرية في ذلك الوقت – ومن بينهم محرر المجلة الألمانية «دير شبيغل»، رودولف أوجستين، والشاعر بول سيلان – باستمرار أهمية عمله: التفكير رغم كل العداء السياسي.

> أحاول أيضا وضع تفكير هيدغر في سياق الخطابات الفلسفية الحالية وإثبات علاقته بواقع الحياة في الوقت الحاضر

– في الكتاب نفسه تطرقتم إلى إشكالية الأنثروبولوجيا في فكر هيدغر. كيف كان هيدغر يرى الإنسان في نظركم؟

■ كما علمت من مجموعته من طلبة هيدغر، الذين أعرف بعضهم جيدًا، وأيضا من شقيقه فريتز هيدج، كان مارتين هيدغر يعامل محاوريه دائمًا باحترام وود إنسانيين. أي شخص كان يزوره – سواء في فرايبورغ أو في الكوخ في تودتناوبيرغ Todtnauberg – كان يُستقبل بترحاب. كان أيضا مستمعًا يقظًا جدًا. انعكس موقفه الإيجابي تجاه إخوانه من البشر أيضًا في مشاركته في الحياة المجتمعية في مسقط رأسه في مسكيرخ، والتي كان دائمًا سعيدًا بالعودة إليها. والتي منحته أيضا المواطنة الفخرية. بمعنى فلسفي أعمق، يبدو لي أنه كان يعتبر البشر – تمامًا كما عبر عن ذلك في «الكينونة والزمن» «كوجود معا „Mit–sein" –» أعضاء في مجموعة تتشارك في مواجهة عدم اليقين في الوجود.

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة السابعة

كان لا يفكر في شيء آخر غير الله ولا يتحدث إلا عنه

كوكلر: تحدث هيدجر غالبًا عن الكينونة بمعنى شبه صوفي

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– تطرقتم في كتابكم: «هيدغر وريبة الكينونة» أيضا إلى مسألة الله في فكر هيدغر. أي إله كان يعنيه، مع العلم أن الرأي العام في الفلسفة يعتقد بأن هيدغر كان سوى حساباته مع إرثه الكاثوليكي؟

■ كفيلسوف، حاول هيدغر إعادة طرح مسألة «الكينونة» – كمصدر للواقع – بمساعدة المنهج الفينومينولوجي. ويعني هذا أنه، بصفته فينومينولوجيا، أراد التفكير في ما يظهر له على الفور في تجربة العالم. وكان هذا هو الهدف من تحليله للوجود هنا«Dasein». لذلك، لم يستطع اعتبار الإيمان الكاثوليكي، القائم بالفعل على اليقين المطلق، كأساس لفلسفته. ولكن لا يترتب على ذلك أنه كان ملحدًا، وأنه رفض وجود الله. «تفسيره» للميراث الكاثوليكي لا يعني أكثر من كونه عبر عن وجهة نظر تؤكد على أن التفكير الفلسفي بشكل عام يكون مستقلا على كل يقين ديني مسبق. وفي هذا المعنى يجب أيضا فهم أطروحته التي كثيرًا ما يتم تداولها والقائلة بأن الفلسفة «المسيحية» هي تناقض ذاتي. في المرحلة الثانية من فلسفته – بعد ما يسمى «المنعطف» – وصف هيدغر بشكل متردد وجود كائنات ذات صفات إلهية؛ يقترب من الصوفيين مثل مايستر إيكهارت ويرجع إلى العالم السحري الأسطوري للشاعر هولدرلين. بالنسبة إليه، كان من الخطإ في المسيحية تقديم الله على أنه أسمى كائن (summum ens) يتمتع بأسمى مستوى من الوعي الذاتي. ووفقا لهيدغر، فإن هذا من شأنه أن يكون بمثابة حط من قيمة الله، لأن المرء لا يفكر فيه في بُعد الكينونة، بل يعتبره مجرد كائن.

من المفيد هنا ذكر ما كتبه لي شقيقه فريتز هيدغر (الذي ربما كان يعرفه شخصيًا وفلسفيًا بشكل أفضل، لأنه لم يكبر معه فحسب، بل – في السنوات اللاحقة – كتب جميع مخطوطاته أيضا) في رسالة عام 1973 (بعد قراءته مخطوطا بحثيا عن «مشكلة الله في تفكير هيدغر»): «يجب على المرء أن يضع دائمًا في اعتباره أن هيدغر لا يفكر في شيء آخر من غير الله، ولا يتحدث إلا عنه، والذي لا تتجاوزه الكينونة إلا ظاهريًا فقط». في نفس الرسالة، أشار فريتس هيدغر أيضا إلى أن محاضرة مارتن هيدغر في توبنغن حول «الفينومينولوجيا واللاهوت» لم تنشر إلا «الآن» (1973) – بعد 43 عامًا من كتابتها – وهو ما قد يكون مؤشرًا على عودة هيدغر للاشتغال على الدين في عمر متأخر.

> لم يتخل هيدجر عن موقفه الفلسفي الأساسي من العقيدة العقائدية للكاثوليكية حتى في المرحلة اللاحقة من حياته

– ما هي أسباب العلاقة المتشنجة لهيدغر مع المسيحية الكاثوليكية؟

■ تفسر أصول هيدغر ما تسمونه العلاقة «المتشنجة» له بالمسيحية الكاثوليكية. أستطيع أن أفهم موقف هيدغر جيدًا في هذا الصدد، لأن أصولي متطابقة تقريبًا مع أصوله. نشأنا معا تحت جناح الكنيسة الكاثوليكية. كان والدانا ساكريستانان (يساعدان دون مقابل القساوسة في شؤون الكنيسة –إضافة المترجم–) في الكنيسة في مسقط رأسنا. خدمنا كمساعدين في القداس منذ سن مبكرة وتربينا في مدرسة داخلية كاثوليكية. على ضوء هذا، يفهم المرء بأن هيدغر الشاب، الذي وبرعاية رئيس أساقفة فرايبورغ جروبنر Gröbner ، كان من المفترض أن يدرس اللاهوت في الأصل، كان عليه أن يتحرر تدريجيا من الكاثوليكية بسبب اهتماماته الفلسفية. ولا ينبغي أيضا تجاهل حقيقة كونه حتى في السنوات اللاحقة – كفيلسوف مشهور عالميًا – كان يتعامل دائمًا باحترام كبير مع تقوى وإيمان والديه وسكان مدينته الأصلية.

– أي نوع من الدين كان هيدغر يصبو إليه، إن كان بالفعل قد فكر في شيء من هذا القبيل؟

■ إذا نظرت إلى نصوص هيدغر بعد «الانعطاف» «Kehre» – وخاصة النصوص المنشورة في مجلد «الحدث Das Ereignis» – فقد أتحدث عن «دين الكينونة». تحدث هيدغر غالبًا عن الكينونة بمعنى شبه صوفي وحذاها بالصفات الإلهية (وهي صفات لا تشير حصريًا إلى المسيحية، التي رفض قطعا مفهومها المجسم عن الله). بإعادة كتابته للكينونة محذرا من أي تشييئ لها، يمكن للمرء أيضا أن يرى نوعًا من «اللاهوت السلبي» في مقاربته هذه، ويصف الإلهي بالإشارة إلى ما هو ليس هو (يعني يزيح صفات ما هو غير إلهي عن الله –إضافة المترجم). وفي هذا الصدد، فإن تفكيره قريب بالتأكيد من الروحانية، وقد يقول البعض أيضا الإيمان بوحدة الوجود والتقاليد الدينية الأخرى غير الغربية – أكثر بكثير من المفهوم الشخصي عن الله في المسيحية.

– كانت لهيدغر علاقة خاصة بالبوذية، أو هكذا يؤول بعض شراحه هذا. ماذا استهواه في نظركم في هذه الديانة؟

■ إن العلاقة بين تفكير هيدغر والبوذية – وعلى وجه التحديد: بوذية الزن – ناتجة عن نقده للعقلانية الموضوعية للفكر الغربي وإضفاء الطابع المطلق على إرادة السلطة، كما يلاحظ هيدغر ذلك في الحضارة التقنية. ما يتشاركه أيضا مع البوذية هو نقد مفهوم شخصي مجسم عن الله. خاصة وأن مفهوم «الكينونة» يشير عند هيدغر إلى قربه من «لا شيء Nichts « (كلا شيء الوجود)، كما وصفه ذلك بوضوح في محاضرته الافتتاحية في فرايبورغ عام 1929، ويقدم هذا تشابها بنيويًا مع منهج بوذية الزن. وكما نعرف الآن، فإن هيدغر في تفكيره حول الكينونة استلهم، من بين من استلهم منهم، من المفكر الياباني د. ت. سوزوكي D. T. Suzuki ، الذي زاره أيضا في فرايبورغ. بشكل عام، قادته محاولة «تجاوز الميتافيزيقيا» – بوذية الزن – ناتجة عن نقده للعقلانية الموضوعية للفكر الغربي وإضفاء الطابع المطلق على إرادة السلطة، كما يلاحظ هيدغر ذلك في الحضارة التقنية. ما يتشاركه أيضا مع البوذية هو نقد مفهوم شخصي مجسم عن الله. خاصة وأن مفهوم «الكينونة» يشير عند هيدغر إلى قربه من «لا شيء Nichts « (كلا شيء الوجود)، كما وصفه ذلك بوضوح في محاضرته الافتتاحية في فرايبورغ عام 1929، ويقدم هذا تشابها بنيويًا مع منهج بوذية الزن. وكما نعرف الآن، فإن هيدغر في تفكيره حول الكينونة استلهم، من بين من استلهم منهم، من المفكر الياباني د. ت. سوزوكي D. T. Suzuki ، الذي زاره أيضا في فرايبورغ. بشكل عام، قادته محاولة «تجاوز الميتافيزيقيا» –

> العلاقة بين تفكير هيدجر والبوذية - وعلى وجه التحديد: بوذية الزن - ناتجة عن نقده للعقلانية الموضوعية للفكر الغربي وإضفاء الطابع المطلق على إرادة السلطة

ويعتبر انعطاف «Kehre» هيدغر خروجًا عن التفكير الإرادي للغرب – والوصول إلى مسارات فكرية ليست غريبة نجدها أيضا في التأمل البوذي. ويمكن ملاحظة ذلك أيضًا في كتابه الشهير « Feldweggespräch» عن «الصفاء Gelassenheit « ، الذي نُشر بعد الحرب. لذلك لم يكن من قبيل الصدفة أن وجدت فلسفة هيدغر صدى قويا في اليابان. وقد لاحظت وتأكدت بهذا بنفسي في محاضرة لي عن الفينومينولوجيا في جامعة طوكيو (1980).

– يُقال بأن هيدغر تراجع في أواخر حياته عن موقفه الرافض لكاثوليكية، على أي أساس ينبني هذا الادعاء؟

■ لم يتخل هيدغر عن موقفه الفلسفي الأساسي من العقيدة العقائدية للكاثوليكية حتى في المرحلة اللاحقة من حياته. ما قام به هو اقترابه مرة أخرى من الإيمان الطبيعي لمسقط رأسه. هكذا يجب أيضا فهم وصيته قبل وفاته برغبته في أن يتولى الكاهن الكاثوليكي والفيلسوف الديني برنارد فيلتي Bernhard Welte، الذي ولد في نفس مدينة هيدغر ميسكيرخ، إلقاء خطبة جنازته، وهذا ما حدث أيضا. كان فيلتي – وإن كان أستاذا في «الفلسفة المسيحية للدين» – محاورًا مهمًا لهيدغر في السنوات الأخيرة من حياته. كما أشرت إلى ذلك سابقًا، كان هيدغر دائمًا يحترم ديانة وتقوى الناس، لكن ليس في شكل دوغمائي بحت. في هذا الصدد، أتذكر أيضا محادثة أجريتها مع البروفيسور برنارد فيلتي حول تصور الله عند هيدغر، وقد جرت هذه المناقشة مع فيلتي في وقت كان فيه هيدغر على قيد الحياة. وحكى لي نفس الشيء تلميذ هيدغر، الأستاذ ماكس مولر Max Müller من ميونيخ، الذي كان راسخًا بقوة في العالم الكاثوليكي ومؤثرًا للغاية في السياسة، ولعب دورًا رئيسيًا في إعادة تأهيل هيدغر بعد الحرب. ومع ذلك، فإن كل هذا لا يغير حقيقة – للعودة إلى سؤالكم الدقيق – كونه وضع صليبا على قبر زوجته إلفريدا وقبر آخر في مقبرة مسكيرخ، وقبر هيدغر نفسه يوجد بين هذين القبرين، وعوض صليب فإن قبره مزين بنجمة. ويعني هذا بأنه أراد أن يرى ديانته الفلسفية موثقة إلى الأبد بعد وفاته، تمامًا كما وضعها في قوله البسيط وهو حي:

«الذهاب إلى نجم ما، هذا النجم فقط ... Auf einen Stern zugehen، nur dieses « (Aus der Erfahrung des Denkens. ،Pfullingen: Neske ،1954 S. 7)

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة الثامنة

أكد أن من الأهمية أن تشارك الشعوب المهمشة في التبادل العالمي للأفكار

كوكلر: الغرب فرض لقرون إرادته على شعوب إفريقيا وآسيا

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– كان تأسيسكم للمنظمة العالمية للتقدم IPO بمثابة تدشين لنشاطم في ميدان حوار الثقافات، بل مشروع حياة لم ينته بعد. كيف ترون هذا الحوار حاليا؟

■ أصبح الحوار الذي يستحق هذا الاسم أكثر صعوبة في العقود القليلة الماضية، وهي صعوبة ناتجة عن العولمة غير المنضبطة من جهة، والسياسة الخارجية العدوانية للدول التي رأت نفسها منتصرة في الحرب الباردة من جهة أخرى. عندما ألقيت خطابي الرئيسي حول حوار الحضارات في جامعة إنسبروك في أكتوبر 1972، كان الصراع بين الشرق والغرب، بين العالم الاشتراكي والرأسمالي، هو العنصر الحاسم في العلاقات الدولية. كانت فكرة الحوار بين الثقافات جديدة في ذلك الوقت وتم استقبالها أيضا بشكل محايد وإيجابي نسبيًا في الأوساط السياسية والدبلوماسية، وهذا ما تمكنت من اكتشافه في جولتي العالمية عام 1974. منذ نهاية المواجهة الأيديولوجية بين القوتين العظميين في ذلك الوقت، تم إطلاق كليشيهات ثقافية جديدة للعدو، وكانت مناقشات مفتوحة وغير متحيزة بين ممثلي وجهات نظر وقيم مختلفة – خاصة في مجال الهوية الدينية – محفوفة بالمخاطر مع خطر الفشل أكثر من ذي قبل. إن محاولة الغرب، بقيادة الولايات المتحدة، وضع بصمتها على العالم بأسره، وبشكل خاص على العالم الإسلامي، وفرض النموذج الغربي للدولة والحياة على الشعوب بالقوة، هو «تحالف الحضارات»، كما وصفتها الأمم المتحدة التي روجت لها وفقدت مصداقيتها بسببها أعقاب أحداث عام 2001. كيف يمكن أن يثق المرء بالدول التي – باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان – تتدخل بالعنف في العالم الإسلامي وتزعزع استقرار مناطق بأكملها، وهي التي تدعي صداقة الشعوب «مجموعة الأصدقاء Group of Friends »، كما يسمى ذلك رسميا في لغة الأمم المتحدة). يعني كيف يحدث ويمارس هذا التحالف؟ بالإضافة إلى ذلك، أدت الشبكات العالمية المتزايدة بسرعة في مجال الأعمال وتدفقات الاتصالات إلى وجود تصميمات عالمية وأنظمة قيمة مختلفة تمامًا، إذا جاز التعبير، في نفس الوقت وفي نفس المكان، مما يثير قلق الكثير من الناس ويفوق إمكانياتهم. إذا أراد المرء تجنب فشل الحوار – الذي لا بديل عنه كأساس للتعايش السلمي – فيجب عليه أن يتخذ تدابير مضادة لما يجري حاليا.

> على الرغم من انتهاء الاستعمار رسميا وقانونيا، إلا أن العالم المتعجرف هو الذي يحدد المعايير الغربية للعالم ويريد أن يفرضها معيارا ملزما للدول الضعيفة، دون الكف عن استعمار هذه الأخيرة

ويتطلب هذا – على الصعيد الدولي نبذ أي شكل من أشكال الإمبريالية الأيديولوجية و محليًا –نهج«واقعي» للتنوع يميز بين الإدماج (السياسي والاجتماعي) والاستيعاب Assimilation (الثقافي). هناك مشكلة أخرى مهمة للغاية، تتمثل في كون المناخ متعدد الثقافات قد تسمم، ليس فقط بين الدول ولكن أيضًا داخليًا من خلال سياسة التبشير وإعادة التربية العنيفة للعالم غير الغربي من طرف الغرب. ستكون إعادة بناء الثقة هنا مهمة عبثية. أنتم محقون في سؤالكم: فما بدأته هو مشروع غير مكتمل، وربما لن يكتمل أبدًا.

– من 1997 إلى 2004 كنتم منسقا بالنمسا للحركة الدولية من أجل عالم عادل (JUST). عن أي مبادئ تدافع هذه الحركة؟

■ منظمة المجتمع المدني JUST نشطة في جميع أنحاء العالم وتدعو إلى نظام بديل للنظام العالمي الحالي، حيث لا تهيمن دولة واحدة وتفرض إرادتها على الآخرين، بل تعمل لكي تعيش جميع الدول والشعوب معًا على قدم المساواة. وترى هذه المنظمة بأن هذا هو أساس العدالة الدولية. يتعلق بنظام عالمي جديد متعدد الأقطاب تريد JUST إنشاء الأسس الروحية والفكرية له.

– كنتم نشيطين ومازلتم في العديد من مراكز الحوار غير الغربية في كوالالمبور والهند وإيران وليبيا وفلسطين وغيرها كثير، ما هي القيمة المضافة التي تقدمها مثل هذه المراكز للحوار الثقافي؟

■ لقد فرض العالم الغربي المصنع لقرون إرادته على شعوب آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية ولم يستغل البلدان في إطار الاستعمار فحسب، بل حاول أيضا تصدير نظام قيمه المجتمعية إلى جميع أنحاء العالم. ومن الأهمية بمكان، بعد نهاية الحقبة الاستعمارية، أن تشارك الشعوب المهمشة حتى الآن وثقافاتها في التبادل العالمي للأفكار على قدم المساواة. ما هو «تقدم» أو «إنساني» أو «مقبول» اجتماعيًا بشكل عام لا يجب تعريفه وتحديده في باريس أو لندن أو واشنطن وحدها. هنا تكتسب المبادرات في البلدان التي كان المرء يسميها سابقًا «العالم الثالث» أهمية خاصة – خاصة الآن– ذلك أنه وعلى الرغم من انتهاء الاستعمار رسميًا وقانونيًا، إلا أن العالم المتعجرف هو الذي يحدد المعايير الغربية للعالم، ويريد أن يفرضها معيارًا ملزمًا للدول الضعيفة، دون الكف عن استعمار هذه الأخيرة.

– من جانب آخر، أنتم أيضا نشطون في مراكز حوار في الغرب في روسيا وأمريكا والدنمارك وألمانيا والنمسا ودول أخرى، هل يعني هذا أن هناك نخبة غربية واعية بالممارسات المجحفة للغرب تجاه ثقافات أخرى؟

■ توجد في بلدان الغرب أيضًا شخصيات تدعو إلى التعاون العالمي على قدم المساواة وترفض الوصاية الثقافية. لكنهم، وهذه قاعدة عامة، لا ينتمون إلى المؤسسة الحاكمة وغالبًا ما يتم استبعادهم من المناقشات في وسائل الإعلام، بل يستهدف المرء مصداقيتهم عن عمد. يتعلق الأمر إذن بمثقفين ومجموعات المجتمع المدني القادرين على رؤية السياقات التاريخية الأشمل والذين يسعون جاهدين للتشكيك في استراتيجيات السياسة الغربية التي تقودها القوة. في منظمة التقدم الدولية سعينا إلى التواصل مع هذه الشخصيات والمنظمات وأطلقنا بشكل متكرر مشاريع تدين الممارسات غير العادلة للغرب. وفي هذا الإطار، قمنا أيضا – بالتعاون مع اليونسكو – بنشر «نظام عالمي جديد للمعلومات والاتصالات».

> توجد في بلدان الغرب شخصيات تدعو إلى التعاون العالمي على قدم المساواة وترفض الوصاية الثقافية. لكنها، لا تنتمي إلى المؤسسة الحاكمة وغالبا ما يتم استبعادها من المناقشات في وسائل الإعلام

– ما هي شروط بناء حوار سياسي واقتصادي إلخ.. من خلال الحوار الثقافي بين الدول الغربية والدول غير الغربية؟

■ إن مجالات السياسة والاقتصاد – الدولية والوطنية – هي بطبيعتها مدفوعة بالمصالح. وهذا الأمر واضح أيضا في القول المنسوب إلى المستشار الألماني بسمارك، وأحيانًا إلى ديغول، القائل إن الدول ليس لها أصدقاء، بل مصالح فقط. بعبارة أخرى: التحالفات السياسية والاقتصادية («الصداقات») تكون انتهازية دائمًا. لا تدوم للأبد، بل تتغير وفقًا لمجموعة المصالح ذات الصلة. ولهذا السبب بالتحديد، تتمتع الثقافة بأهمية خاصة في العلاقات بين الدول، لأنها – على عكس السياسة أو الاقتصاد – ليست عابرة ومؤقتة، ولكنها – كعنصر يخلق هوية للمجتمع – دائمة، أي أنها تبقى عبر الأجيال وتتجاوز الجوانب المؤقتة للحياة اليومية. بهذا المعنى، يمكن للعلاقات الثقافية والحوار بين الثقافات بين الشعوب أن تخلق أساسًا للثقة والاحترام المتبادل يتجاوز السياسة اليومية المتغيرة وإعادة التوجيه باستمرار. لن تنجح بداية جديدة في العلاقات بين العالم الغربي والعالم غير الغربي إلا إذا تم ضمان هذا الاحترام الأساسي، الناتج عن الاعتراف المتبادل بالهوية الثقافية (سبق لي أن أشرت إلى هذا في بداية جولتي العالمية الأولى في مقابلة مع صحيفة الجمهورية المصرية). إضافة إلى هذا، إذا استمر المرء في إعطاء الأولوية لمصالح السياسة والأعمال ووضع الثقافة جانبًا، فإن الصراع الجامح على السلطة سيستمر في ظل ظروف العولمة ولن ينتهي الصراع المسلح على المصالح.

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة التاسعة

قال إن الديمقراطية في أوروبا وأمريكا هي نتاج ظروف وتطورات تاريخية

كوكلر: لا يحق للأنظمة السياسية الغربية أن تدعي شرعية عالمية

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– نشطتم في العديد من اللجان ومجموعات الخبراء التي تتعامل مع قضايا الديمقراطية الدولية وحقوق الإنسان والتنمية في أوروبا وأمريكا وحتى في لجن الأمم المتحدة. هل الغرب السياسي مُجدٌ في «أيديولوجية تصدير» الديمقراطية؟

■ إن أقوى الدول الغربية اقتصاديا وسياسيا ليست ذات مصداقية في سياستها «تصدير» الديمقراطية. أولا، تقيس بمعايير مزدوجة وتشير بالأصابع إلى «النقص» الديمقراطي فقط حيث تسمح به مصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية. بتعبير آخر: إذا رأت بلدًا منافسا لها في معركة القوة العالمية أو إذا كان هذا البلد متحالفا مع منافس جيوسياسي للغرب، فإنها تسعى إلى الإشارة بالأصابع إلى عجزه الديمقراطي، وبالتالي تطالبة بالقضاء على هذا النقص. والواقع أن الأمر يتعلق بزعزعة الاستقرار السياسي من أجل حماية المصالح الغربية. كان هذا واضحًا أيضا، على سبيل المثال، في «الثورات الملونة color revolutions « في أوروبا الشرقية بعد نهاية الحرب الباردة. ثانيًا، للدول التي تسعى بقوة لتصدير الديمقراطية في الغالب نقص في الديمقراطية في بلدانها أيضا؛ من ناحية، لأن سياستها الخارجية غير ديمقراطية (أي محكومة تمامًا بسياسات القوة)، ومن ناحية أخرى، لأن نظام الدولة الداخلي الخاص بها محكوم من طرف أقلية (حكم مجموعات المصالح القوية) أكثر من كونه نظامًا حقيقيًا.

> بالنسبة إلى الولايات المتحدة كانت «حقوق الإنسان» دائما ذريعة عندما يتعلق الأمر بتأكيد مصالح قوتها السياسية على المستوى العالمي

– أيمكن اعتبار النماذج الديمقراطية الغربية مثالا يجب أن يُحتذى به من طرف شعوب أخرى؟

■ لا يحق للأنظمة السياسية الغربية أن تدعي شرعية عالمية لنفسها. إن الديمقراطية، كما تمارس في أوروبا والولايات المتحدة، هي نتيجة لظروف وتطورات تاريخية محددة في العالم الغربي، لا يمكن نقلها بحذافيرها إلى مناطق أخرى من العالم ذات ظروف وقيم اجتماعية وثقافية مختلفة للغاية. في الواقع، يُظهر النموذج الغربي للديمقراطية في الغالب شكلاً من أشكال تنظيم الأوليغارشية، لا يسمح للناس بالمشاركة في القرارات السياسية إلا على نطاق محدود للغاية. عادة ما يكون للتكتلات الاقتصادية والشركات الدولية وزن أكبر من المواطنين، كما اتضح من خلال الأزمة الاقتصادية والمالية العالمية الأخيرة. وقد أشار في وقت مبكر – عام 1961 – الرئيس الأمريكي المنتهية ولايته أيزنهاور إلى مخاطر «المجمع الصناعي العسكري» على الديمقراطية – وهو مثال نادر حقا للنقد الذاتي للسلطة السياسية!

– أين يوجد الخلل في نظركم، في فكرة الديمقراطية ذاتها كما نظر لها كبار الفلاسفة السياسيون أو في ممارسات الحكومات الغربية لمبدأ الديمقراطية؟

■ يساء فهم فكرة الديمقراطية في الغالب، بل يتم نفيها، في الفلسفة والعلوم السياسية الحديثة. هناك قدر كبير من الالتباس في المصطلح بشكل عام. على الرغم من أن المصطلح اليوناني «الديمقراطية» يعني حكم الشعب لنفسه بنفسه، فإن الديمقراطية تُفهم اليوم في الغالب على أنها نظام حكم على الشعب. يتم تعريف الديمقراطية في جميع الدول الغربية تقريبًا على أنها ما يسمى بالديمقراطية التمثيلية، مما يعني أن الأعضاء المنتخبين من قبل الشعب يسنون القوانين باسم الشعب لفترة زمنية معينة، ولكن دون التقيد بتعليمات من الشعب. ينطبق ما يسمى بالولاية «الحرة» وليس «الإلزامية» (حيث تشير الحرية إلى حرية عضو البرلمان في أن يقرر وفقًا لتقديره الخاص، وليس حرية الشعب). تستند نظرية الديمقراطية الحالية على الوهم القائل بأن البرلماني قادر بشكل مثالي على تمثيل الإرادة الجماعية للشعب، وليس إرادته الخاصة أو إرادة حزبه. لكن ما ينتج عن هذا في الواقع هو هيمنة جماعات الضغط ومجموعات المصالح. ومع ذلك، يصر المرء على تسمية هذا الواقع الأوليغارشي الفعلي بمصطلح «الديمقراطية»، لأن لهذا طابع قانوني أقوى تجاه السكان أكثر من المصطلح الفعلي «الأوليغارشية» أو «البلوتوقراطية Plutokratie». لذلك يمكن للمرء أن يقول إنه تم في الدول الغربية تفسير مبدأ الديمقراطية بشكل مضلل منذ البداية، لأن الديمقراطية بمعناها الضيق لا يمكن أن تكون إلا نظامًا مباشرًا، وليس نظامًا لاتخاذ القرارات التمثيلية؛ وهذه حقيقة تم قمعها/كبتها للأسف في أوروبا منذ روسو. ربما تكون سويسرا، التي تمارس نظامًا مختلطًا من الديمقراطية المباشرة والتمثيلية، هي الاستثناء الوحيد الملحوظ في أوروبا.

– باسم مبدأ «حقوق الإنسان» أرجعت الولايات المتحدة الأمريكية دولا مثل العراق وليبيا وسوريا واليمن ومؤخرا أفغانستان قرونا إلى الوراء في تقدمهم. كيف تقيمون النموذج الأمريكي حاليا؟

■ بالنسبة إلى الولايات المتحدة، كانت «حقوق الإنسان» دائما ذريعة عندما يتعلق الأمر بتأكيد مصالح قوتها السياسية على المستوى العالمي. يعلمنا تاريخ ما يسمى «التدخل الإنساني» منذ القرن التاسع عشر أن القوى العظمى تلجأ دائمًا إلى المبادئ الأخلاقية السامية عندما تكون في حاجة لذرائع لاستخدام القوة العسكرية. والولايات المتحدة هي أفضل مثال على هذه «الميكافيلية الإنسانية» في العالم الغربي. لم يكن «النموذج الأمريكي»، كما يحلو للأمريكيين تسميته، ذا مصداقية منذ البداية. تأسست الدولة على أساس حرمان السكان الأصليين من جميع الحقوق وسلبهم أرضهم، وكان الازدهار مبنيًا إلى حد كبير على استعباد السكان الأصليين وآخرين تم شراؤهم في إفريقيا. بالإضافة إلى هذا الرهن الاستعماري، ينبغي ألا يغيب عن البال أن الولايات المتحدة كانت حتى الآن الدولة الوحيدة التي استخدمت الأسلحة النووية – ليس ضد أهداف عسكرية– بل ضد السكان المدنيين في مدينتين. ووفقا لوجهة نظر اليوم، فإن استخدام الأسلحة النووية هو الحالة الكلاسيكية لإرهاب الدولة. وبهذا فإن التدخلات التي تمت باسم حقوق الإنسان في دول العالم العربي والإسلامي التي ذكرتم كانت أو هي حروب عدوانية مخالفة لميثاق الأمم المتحدة. وهكذا فقد النموذج الأمريكي مصداقيته.

> تدفقات اللاجئين نحو أوروبا في السنوات الأخيرة هي نتيجة لسياسة واسعة النطاق لزعزعة الاستقرار من قبل الولايات المتحدة وحلفائها في الشرقين الأدنى والأوسط

– بالنظر إلى حركات لجوء الكثير من الناس إلى أوروبا كل مرة ضرب فيها بلد في الشرق الأوسط وأفغانستان، يداس مبدأ «حقوق الإنسان» بالأرجل في القارة الأوروبية أيضا. هل عجزت أوروبا المتحدة عن احترام مبادئها الإنسانية؟

■ إن تدفقات اللاجئين نحو أوروبا في السنوات الأخيرة هي نتيجة لسياسة واسعة النطاق لزعزعة الاستقرار من قبل الولايات المتحدة وحلفائها في الشرقين الأدنى والأوسط. لقد دمرت التدخلات العسكرية النظام الاقتصادي والاجتماعي في دول مهمة في هذه المنطقة الحساسة من الناحية الجيوسياسية وخلقت فراغًا سياسيًا كبيرا. والنتيجة، كما يقول الأمريكيون، هي ما يُعرف بـ»الدول الفاشلة failed states». لقد اضطر عدد لا يحصى من الناس في هذه البلدان إلى دفع ثمن هذه السياسة الحربية بالموت أو بخسارة وطنهم وكل ما لديهم. وحتى الآن، لم تحاسب أي سلطة دولية مرتكبي ومسببي هذه المعاناة. ويد الأمم المتحدة مقيدة في هذا الصدد بسبب الفيتو الأمريكي. ولا بد من قول شيء مهم بوضوح شديد: ليست القوة العظمى الأمريكية هي المسؤولة الوحيدة. كل الدول التي دعمت التدخلات في هذه الدول عسكريا ولوجستيا وسياسيا مسؤولة أيضا. ويشمل هذا قبل كل شيء دول الاتحاد الأوروبي نفسه باعتباره طرفا فاعلا دوليا. وعليه الآن أيضا تحمل عواقب أفعاله وأن يتعامل مع تدفقات اللاجئين التي تسبب وساعد في إحداثها. وفي هذا الصدد، فإن الاتحاد الأوروبي ملزم بمراعاة المبادئ الإنسانية التي أعلنها بنفسه والتي حث عليها مرارًا وتكرارًا في جميع أنحاء العالم. بالمناسبة، يكون النفاق في أوجه عندما يصر الاتحاد الأوروبي، على سبيل المثال، على مطالبة تركيا باحترام التزاماتها الإنسانية – التي تحددها أوروبا من جانب واحد – ولكن في الوقت نفسه تطالبها بوقف تدفق اللاجئين والمهاجرين على الحدود الخارجية للاتحاد الأوروبي. في هذا السياق، يتبين أن الالتزام بـ»القيم الأوروبية المشتركة» مجرد كلام. الاتحاد الأوروبي يلوم الآخرين على عدم الالتزام بهذه القيم، لكنه لا يمكنه الاتفاق داخليا على تطبيق ثابت لها عند التعامل مع مشكلة اللاجئين والهجرة.

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة 10

قال إنها على عكس الدول الغربية لم تغلق سفارتها في كابول

كوكلر: روسيا تتأثر أكثر بالأحداث في أفغانستان

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– كانت لكم مواقف واضحة من «انسحاب» أمريكا الأخير من أفغانستان، كيف ترون هذا الانسحاب؟

■ لم يكن انسحاب الولايات المتحدة وقواتها المتحالفة مفاجئًا. لقد تفاوضت الولايات المتحدة منذ فترة طويلة مع طالبان. ما زلت أتذكر جيدًا مؤتمرًا استراتيجيًا دوليًا في طنجة عام 2011 شاركت فيه كمتحدث – في عهد الرئيس أوباما – عندما كانت المفاوضات المحتملة بين الولايات المتحدة وطالبان قيد المناقشة بالفعل. ورحب السياسي المعارض آنذاك ورئيس الوزراء الباكستاني الحالي، عمران خان، بذلك في حلقة من حلقات النقاش. وتم التفاوض على تفاصيل وموعد الانسحاب في ظل إدارة دونالد ترامب في مفاوضات مباشرة مع طالبان في الدوحة. وكان وزير الخارجية الأمريكي بومبيو حاضرًا أيضًا في توقيع المعاهدة. لذا فإن الخطوة التي اتخذت أخيرًا في غشت من هذا العام لم تكن مفاجئة. تم التفاوض على الإجراء منذ فترة طويلة في كل تفاصيله. من الناحية الجيوسياسية، فإن الاعتراف الفعلي بحركة طالبان كشريك مفاوض دولي وانسحاب الغرب العسكري من أفغانستان يمكن بالتأكيد أن يتساوى مع الاعتراف بأن الاحتلال ومشروع بناء الدولة قد فشل في الأخير. ولم يكن هذا الفشل الأول من نوعه. منذ الغزو الوحشي للملك المقدوني الإسكندر منذ ما يقرب من ألفي ونصف عام، يبدو بأن القوى العالمية لم تتعلم شيئا. وقعت الولايات المتحدة عسكريا في نفس الفخ الذي وقع فيه البريطانيون والسوفييت من قبلهم. في الواقع الملموس، فإن سخرية التاريخ تتجلى في كون الولايات المتحدة قامت ببناء المجاهدين وطالبان في ذلك الوقت – خلال الحرب الباردة – واستخدمتهم لإضعاف الاتحاد السوفيتي، القوة المحتلة آنذاك في أفغانستان.

> أجج الخوف الواسع الانتشار من حدوث حركة جديدة ضخمة للاجئين من أفغانستان إلى أوروبا بسبب أحداث عام 2015

– عند إعلان هذا الانسحاب وبدايته الفعلية تشنجت أوروبا المتحدة وتعالت صيحاتها خوفا من حركات لجوء جديدة إلى أراضيها. عما يعبر هذا في نظركم؟

■ أجج الخوف الواسع الانتشار من حدوث حركة جديدة ضخمة للاجئين من أفغانستان إلى أوروبا بسبب أحداث عام 2015.

في رأيي، فإن المخاوف غير مبررة عندما نأخذ بعين الاعتبار أنه في لم تكن هناك في أفغانستان في الواقع أية مقاومة على الإطلاق لاستيلاء طالبان على السلطة، وأنه في غضون أسابيع قليلة تمكنت طالبان من تأمين السلطة على البلد بأكمله، بما في ذلك وادي البنجير الجبلي. حتى الآن لم يحدث نزوح جماعي إلى البلدان المجاورة، وأصبح الأمن في القرى وفي شوارع المدن أفضل الآن بكثير للسكان المدنيين مما كان عليه أثناء الاحتلال الأمريكي. من خلال تبني سياسة بناءة من عدم التدخل والتعاون العادل مع أفغانستان، يمكن لأوروبا أن تفعل الكثير، لتتأكد بأن الخوف من حدوث هجرة جماعية جديدة لا أساس له من الصحة.

– هناك بعض المحللين ممن يعتقدون بأن «الغرب» سيدجن طالبان ويصبح نظامهم تابعا أيضا لأمريكا وحلفائها، باستعمال استراتيجيات يتقنها الغرب جيدا. إلى أي حد يعتبر هذا الرأي صائبا؟

■ من المحتمل تمامًا أن تحاول الدول الغربية، بقيادة الولايات المتحدة، بعد فشلها عسكري ولكن أيضًا السياسي في أفغانستان – فلم تكن حكومة الرئيس الفار سوى مجرد دمية! – ممارسة الضغط بطرق أخرى، وبالخصوص عن طريق استخدام القوة الاقتصادية بعد أن لم يتحقق أي شيء بالعنف المسلح. إن الاحتفاظ بما يقرب من 10 مليارات دولار من احتياطيات النقد الأجنبي الأفغاني من قبل صندوق النقد الدولي تحت ضغط من الولايات المتحدة هو مؤشر على مثل هذه الاستراتيجية. ولا بد أن نأخذ بعين الاعتبار هنا أن هذه الأموال ليست ملكا لطالبان، بل للشعب الأفغاني، ولا يحق للحكومة الجديدة، مهما كان شكلها، الاستحواذ عليها. ويمثل النهج الأمريكي عملاً غير قانوني من أعمال الابتزاز التي يجب أن تلتزم بها البلاد.

– هل ستلعب روسيا دورا ما لتعويض خساراتها في أفغانستان؟

■ على عكس الولايات المتحدة، فإن روسيا – مثل الصين والهند – تتأثر بشكل مباشر أكثر بالأحداث في أفغانستان بسبب موقعها الجغرافي. إن روسيا – على عكس الدول الغربية – لم تغلق سفارتها في كابول وتعاونها حاليا مع الحكومة الجديدة على أساس عدم التدخل في الشؤون الداخلية هو علامة على وعي الواقع السياسي وربما أيضًا لروسيا – بعد التجربة الصادمة في الثمانينيات – فهم أكبر لتعقد الديناميكيات السياسية في آسيا الوسطى. ليس من غير المألوف – كما هو الحال دائمًا في السياسة الواقعية للقوى العظمى – أن يكون التركيز دائمًا على مصلحة الدولة (أي ما يسمى «المصلحة الوطنية»). السؤال هو دائما كيف تتوافق الاستراتيجية المعنية بالأمر هنا مع القانون الدولي وحماية الاستقرار في المنطقة. إن الحفاظ على العلاقات الدبلوماسية المنتظمة والتخلي عن ممارسة الضغط الاقتصادي هو في كل الأحوال أكثر فائدة في هذا الصدد من السياسة الغربية تجاه أفغانستان القائمة على الغطرسة الأيديولوجية والضغط الاقتصادي – السياسي.

– هناك دول أخرى كتركيا والصين ولربما إيران أيضا تحاول بطرق مختلفة الاستفادة من انسحاب أمريكا من أفغانستان. كيف ترون هذا الأمر؟

■ تعتبر القوى الإقليمية الثلاث التي ذكرتم جارات جغرافيا لأفغانستان – وعلى عكس الولايات المتحدة الأمريكية والأوربيين – فإنها تتأثر بشكل مباشر بالأحداث هناك، خاصة في ما يتعلق بالأمن الداخلي والتدفقات الهائلة المحتملة للاجئين. ترك انسحاب الولايات المتحدة وحلفائها – بما في ذلك تركيا كعضو في الناتو، والتي كانت مسؤولة عن الأمن في مطار كابول حتى الانسحاب – فراغا جيوستراتيجيًا. كما هو الحال دائمًا في مثل هذه المواقف، فإن مثل هذا الفراغ يستدعي – وفقًا لقوانين السياسة الواقعية – أقوى الجهات الفاعلة في المنطقة المعنية. ومع ذلك، فمن مصلحة الاستقرار الجيوسياسي – وبالتالي من مصلحة الجميع (أيضا في أوروبا) – في ظل هذه الظروف – بانسحاب قوة عظمى بعيدة جغرافيًا – أن تنسق البلدان المتأثرة بشكل مباشر في المنطقة سياساتها. من الواضح أن هناك مزايا يمكن أن تجنيها البلدان الثلاثة التي ذكرتم. ولا تتعلق هذه الفوائد بالمجال الاقتصادي فقط (الذي يخص الموارد الطبيعية الغنية للبلاد)، بل أيضًا لتحقيق مكاسب في الأمن الداخلي لهذه البلدان وتعزيز مكانتها في المجتمع الدولي (لا سيما في إطار الأمم المتحدة).

> لم يكن انسحاب الولايات المتحدة وقواتها المتحالفة مفاجئا. إذ كانت تتفاوض منذ فترة طويلة مع طالبان

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة 11

قال إن القوة العظمى الحالية تقف إلى جانب إسرائيل

كوكلر: منذ نهاية الثنائية القطبية أصبح وضع الفلسطينيين أكثر صعوبة

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

- أنتم منذ عام 1988 منسق اللجنة الدولية لحقوق الإنسان الفلسطيني (ICPHR). بالنظر إلى التطورات الحالية في منطقة الشرق الأوسط، كيف ترون القضية الفلسطينية؟

■ منذ نهاية النظام العالمي ثنائي القطب - المنافسة على السلطة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي - أصبح وضع الفلسطينيين أكثر صعوبة. وبما أن القوة العظمى الحالية تقف إلى جانب إسرائيل، أصبح بإمكان إسرائيل أن تصادر تدريجيا المزيد من الأراضي الفلسطينية، وإنشاء المستوطنات وتوسيعها، وبالتالي فرض المزيد والمزيد من «الأمر الواقع». ونظرًا لأن العالم العربي والإسلامي ككل منقسم بشدة، فإن الفلسطينيين يجدون أنفسهم وحدهم إلى حد كبير في مواجهة دولة مسيطرة عسكريًا. لم تعد جامعة الدول العربية تلعب دورًا فعالا في سياسات الشرق الأوسط. وبدعم من الولايات المتحدة ودول غربية أخرى، أصبح بإمكان قوة الاحتلال في فلسطين أن تستمر في تجاهل قرارات الأمم المتحدة وأن تستمر في إضعاف السلطة الفلسطينية أو تقويض سلطتها. حقيقة أن بعض الدول العربية - بسبب التنافس مع إيران بشكل أساسي - اتخذت خطوات أحادية الجانب العام الماضي لتطبيع علاقاتها الاقتصادية والسياسية مع إسرائيل، خلافًا لمبادرة السلام العربية وبدفع من إدارة ترامب، فإن معضلة الشعب الفلسطيني تفاقمت أكثر.

- تنهج إسرائيل في الكثير من الميادين سياسة «أبرتهايد» حقيقي تجاه الفلسطينيين الذي يعيشون تحت سيطرتها في الأراضي المحتلة. لماذا يتفرج العالم بأسره، وبالخصوص الدول القوية على مثل هذه الممارسات؟

■ يكمن أحد الأسباب الرئيسية لسلبية السياسة العالمية بشأن القضية الفلسطينية في قوة الجماعات الموالية لإسرائيل، وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا، والتي لا تستطيع الدول العربية منافستها (في مجال العلاقات العامة). وتكمن المشكلة أيضا في السياسة الداخلية، خاصة في الولايات المتحدة، حيث إنه من الصعب جدًا لمرشح ما الفوز بالانتخابات عندما يكون اللوبي المؤيد لإسرائيل ضده (وقد انتبه إلى هذا الأمر أساتذة الجامعات الأمريكية أيضا وقاموا بوصف هذا الأمر وتحليله بدقة). وبما أن الدول العربية كما قلت شديدة الانقسام فلا يمكن أن تظهر موحدة على الساحة الدولية. إضافة إلى هذا لا يوجد هناك ضغط يمكن ملاحظته في مجال المنظمات الدولية - وخاصة الأمم المتحدة - لاتخاذ إجراءات فعالة ضد سياسة الاحتلال الإسرائيلي وللمساعدة في النهاية على حق الفلسطينيين في تقرير المصير لتحقيق انفراج. ويجب الإشارة إلى أن هناك بالفعل مبادرات للمجتمع المدني في الدول الغربية - على عكس الحكومات وجماعات المصالح الاقتصادية - ملتزمة بالقضية الفلسطينية وتطالب بوضع حد لسياسة الاستيطان الإسرائيلية.

> يكمن أحد الأسباب الرئيسية لسلبية السياسة العالمية بشأن القضية الفلسطينية في قوة الجماعات الموالية لإسرائيل، وخاصة في الولايات المتحدة وأوروبا

- أكان مؤتمر مدريد ومن بعده اتفاقية أوسلو مفيدين لمستقبل الفلسطينيين؟

■ لقد أيقظ مؤتمر مدريد وأوسلو آمالا لم تتحقق، لأن الاتفاقات جاءت من موقف ضعف بالنسبة إلى المفاوضين العرب والفلسطينيين. في ما يتعلق باتفاقية أوسلو، ومباشرة بعد إبرامها أشار المرء عدة مرات إلى أن قضايا تقرير المصير والسيادة الفلسطينية يجب تجاهلها تمامًا، وأن التكوين الإقليمي المنصوص عليه في الاتفاقية مشابه جدًا لهيكل «Homeland» السابقة في جنوب إفريقيا. لا توجد منطقة متماسكة، ولكن فقط فضاء واحد مجزأ ومتعدد الجوانب للحكم الذاتي مع مجالات مختلفة لمسؤولية إدارته. وبقيت السلطات التي تعتبر حاسمة لاستقلال الدولة الفلسطينية في يد إسرائيل بعد الاتفاق. كانت الإشارة في المفاوضات إلى «الوضع النهائي» غير ملزمة تمامًا - وقد ثبت تمامًا بأنها كانت دون عواقب خلال ربع القرن الماضي. وقبل عقدين من الزمن - في محاضرة ألقيتها في مدريد عام 2000 - ذكرت أنه بموجب اتفاقية أوسلو، لا يمكن للفلسطينيين ممارسة سلطتهم إلا نيابة عن القوة المحتلة. وقد أظهرت التطورات السياسية في السنوات الأخيرة ما قلته: لم يكن من الممكن حتى تنظيم العملية السياسية الداخلية في الأراضي الفلسطينية بشكل مستقل عن التأثير الخارجي، كما أظهرت الانتخابات البرلمانية عام 2006 وما تلاها من أحداث في تشكيل الحكومة. كما يجب ألا ننسى بأنه في ذلك الوقت لم تكن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي مستعدين لقبول نتيجة القرار الديمقراطي للشعب الفلسطيني ومارسوا ضغوطًا هائلة. لقد أثبتوا أيضا بأن دعوتهم إلى حل سلمي على أساس تقرير المصير والديمقراطية غير جديرة بالثقة تمامًا،

بل إنهم يرفضون حق تقرير المصير، ويوضح هذا أنهم يحرمون الشعب الفلسطيني من النضج ليقرر بنفسه تكوين البرلمان - وفي نهاية المطاف تكوين حكومة فلسطينية.

- هناك حركة قوية للفلسطينيين، تكبر مع الوقت، تطالب برحيل السلطة الفلسطينية الحالية، لأنهم يعتبرونها سلطة تابعة للسلطة الإسرائيلية. كيف ترون هذا الأمر؟

■ أستطيع أن أتفهم جيدًا إحباط وخيبة أمل الناس في فلسطين، خاصة وأنني كما قلت من قبل، منذ أكثر من عشرين عاما ألاحظ أن المشكل الحقيقي يكمن في كون السلطة الفلسطينية تعمل في إطار يجبرها على العمل كوكالة تابعة لقوة الاحتلال في المناطق الأساسية للرقعة الجغرافية التي مُنحت لهم للعيش، بصرف النظر عن حقيقة أن المجالات الحاسمة التي تشكل سلطة الدولة تقع في يد السلطات الإسرائيلية منذ البداية. والسؤال الجوهري هو ما هو البديل الواقعي للوضع الراهن في فلسطين، على اعتبار أن قرارات مجلس الأمن الدولي بشأن انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة غير قابلة للتنفيذ، لأنها صدرت فقط في شكل توصيات بسبب الفيتو الأمريكي. وأن الأمم المتحدة - أيضا بسبب التهديد الأمريكي باستخدام حق النقض - لم تقبل بعد بفلسطين كعضو ذي سيادة، بل توجد فيها كـ«مراقب» فقط.

نظرًا لعدم وجود استراتيجية مشتركة فعليًا للعالم العربي، فإن السياسة الفلسطينية ليس لها بالكاد أي خيارات قابلة للتطبيق. لكن المطلوب بشكل عاجل، إذا تم العثور على مخرج من المأزق الحالي، هو أن يعبر الفلسطينيون عن اختيارهم للخط المستقبلي في استفتاء حر يتم إجراؤه في جميع أنحاء أراضي سلطة الحكم الذاتي.

> لقد أيقظ مؤتمر مدريد وأوسلو آمالا لم تتحقق، لأن الاتفاقات جاءت من موقف ضعف بالنسبة إلى المفاوضين العرب والفلسطينيين

- تعتبرون من المفكرين الغربيين القلائل، ممن يعلنون عن تضامنهم مع الفلسطينيين ورفضهم للسياسة الإسرائيلية تجاههم، أتعتقدون في إمكانية حصول الفلسطينيين على حقهم في بناء دولة مستقلة؟

■ في الوضع الحالي، تبدو الآفاق قاتمة. وفي مثل هذه الحالة الفوضوية، يكون الصدق دائمًا أفضل من التفكير بالتمني. في الواقع للفلسطينيين بالفعل الحق في إقامة دولتهم. وهذا لا ينبع بشكل عام من حق الشعوب في تقرير المصير فحسب، بل ينبع أيضا من العديد من قرارات الأمم المتحدة. والمشكلة هي ممارسة (إعمال) هذا الحق. من الغريب أن الجمعية العامة للأمم المتحدة التي يمنع مجلس الأمن التابع لها الاعتراف بفلسطين كدولة (بسبب الفيتو الأمريكي)، قد أنشأت منذ عقود لجنة لتنفيذ الحقوق غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني. (بعنوان غريب: «اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف»)، والتي تتضمن بالطبع الحق في تقرير المصير. تحتفل هذه اللجنة رسميا بـ«اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني» في 29 نوفمبر من كل سنة. الغالبية العظمى من الدول الأعضاء في الأمم المتحدة اعترفت بفلسطين كدولة وتقيم معها علاقات دبلوماسية. ودولة فلسطين هي أيضا عضو في اليونسكو وطرف متعاقد في المحكمة الجنائية الدولية في لاهاي. ومع ذلك، فإن كل هذا الاعتراف يبقى دون نتائج سياسية حقيقية، طالما أن الفلسطينيين لا يمارسون سلطة فعلية على المنطقة المعترف لهم بها بموجب القانون الدولي، وتبقى لقوة الاحتلال الكلمة الأخيرة. وحتى لو كان استمرار الاحتلال مخالفا للقانون الدولي وكان ضم الأراضي الفلسطينية في القدس باطلا قانونيًا، كما أوضحت الأمم المتحدة بوضوح، فإن هذا لا يغير حقيقة كون دولة فلسطين غير موجودة حاليًا كواقع سياسي، حيث إن السلطة الحقيقية هي في النهاية في يد القوة المحتلة. لا يمكن أن يكون هناك أمل في التغيير إلا إذا تغير النظام العالمي، أي مجموعة القوة العالمية، ويغير العالم الغربي - وفي مقدمته الولايات المتحدة - سلوكه في التصويت في مجلس الأمن، بأخذ توازن القوى بين الأعضاء الدائمين (وبالتحديد الصين وروسيا) بعين الاعتبار. وإذا أدركت الولايات المتحدة في مرحلة ما أن الثمن الذي يتعين عليها دفعه مقابل الهيمنة بمفردها على السياسة الفلسطينية مرتفع للغاية في ضوء أهدافها الجيوسياسية الأخرى (مثل التنافس مع الصين. إن هذا تصور طويل المدى إلى حد ما، يرتبط بالانتقال من عالم أحادي القطب حاليا إلى كوكبة/مجموعة جديدة متعددة الأقطاب.

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة 12

أكد أن البلاد صارت مكانا للحرب بالوكالة بين قوى إقليمية

كوكلر: حل الأزمة الليبية أصبح أكثر صعوبة

حاوره - **حميد لشهب (النمسا)**

- في حوار سابق لكم، وفي الكثير من كتاباتكم، تنبأتم بالوضع الحالي لليبيا والفوضى التي أوصلها إليها العدوان الغربي- الروسي عليها. هل هناك مخرج للأزمة الليبية؟

■ كيفما كان الأمر مؤسفا، لا أرى كيف سيتم التغلب على الأزمة في ظل الظروف الحالية. عندما يفكك المرء الوحدة السياسية لبلد ما بالقوة، كما كان الحال عليه في التدخل العسكري في ليبيا عام 2011، يكاد يكون من المستحيل إعادة ملء الهوة بين الفرقاء مرة أخرى.

على الرغم من غياب أي تفويض أممي أو بموجب قرار الأمم المتحدة، فإن الدول التي هاجمت ليبيا، وفي مقدمتها فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى، تسببت في الإطاحة («تغيير النظام»)، وبالتالي خلقت فراغا أدى إلى تفكك بلد ضخم. أصبح هذا الإجراء ممكنا فقط من خلال امتناع روسيا (في عهد الرئيس ميدفيديف) والصين عن التصويت في مجلس الأمن. إن استراتيجية الدول التي هاجمت ليبيا بذريعة إنسانية وماتت آلاف الأرواح بسببها لم تكن فقط غير أخلاقية وغير قانونية، لكن ما تم إغفاله أيضا هو أن النموذج الغربي للسياسة لا يمكن ببساطة نقله إلى دولة ذات ظروف اجتماعية مختلفة تمامًا. في ظل ظروف مجتمع قبلي متجذر في التقاليد، فإن النظام المبني على نموذج البرلمانية الغربية بمنافسته الحزبية المعروفة، يهدد بتفاقم الاختلافات الاجتماعية وتقسيم البلاد.

وهذا بالضبط ما حدث في ليبيا. لم يعد من السهل دمج أجزاء من البلاد تطورت تاريخيًا بطرق مختلفة - طرابلس وبرقة وفزان - في دولة موحدة باستخدام الطريقة الغربية للاستعمار الأيديولوجي. أصبح حل الأزمة أكثر صعوبة أيضًا لأن ليبيا أصبحت في الوقت الراهن مكانا لحرب بالوكالة بين القوى الإقليمية التي تسعى إلى استغلال الفوضى - مع الحكومات والبرلمانات المتنافسة في الأجزاء البعيدة من البلاد - قصد استغلال مصالح جيو ا ستر ا تيجية .

> عندما تفكك الوحدة السياسية لبلد ما بالقوة، كما كان الحال في التدخل العسكري في ليبيا يكاد يكون من المستحيل إعادة ملء الهوة بين الفرقاء مرة أخرى

أدلى وسطاء الأمم المتحدة ببيانات متفائلة على مر السنين، كان كل منها يسفر عن خيبة أمل كبيرة. في هذه الأيام أيضًا، أدلى ممثل ليبيا لدى الأمم المتحدة - ويجب أن يقال بصراحة إن البلاد قد تحطمت على يد هذه الأخيرة- في 10 سبتمبر 2021، على ضوء الانتخابات التي تم التخطيط لها مرة أخرى في نهاية العام، بتصريح لا معنى له حول مستقبل البلاد، ونصه: «ليبيا على مفترق الطرق حيث إن النتائج الإيجابية أو السلبية ممكنة على حد سواء» „Libya is at a crossroads where positive or negative outcomes are equally possible.“. لا يمكن الاعتراف بفشل المجتمع الدولي أن يكون أكثر إحراجا من هذا البيان التافه.

- تتدحرج تونس، التي اعتقد المرء أنها البلد العربي الوحيد الذي نجحت فيه ثورة الربيع العربي، إلى مصير مقلق، بالنظر إلى ما يحدث بها حاليا، ما هي المخاطر التي تواجه تونس مستقبلا؟

■ مرت تونس بالعديد من المراحل الحرجة منذ عهد بورقيبة وشهدت العديد من الاضطرابات والانتفاضات في أجزاء مختلفة من البلاد. تمكنت من متابعة بعض هذه الأحداث مباشرة في زياراتي المتعددة للبلد، لكن ففي كل كانت تتم استعادة الوضع الطبيعي نسبيًا بسرعة نسبية بالمقارنة مع ما يحدث الآن. وفي تقديري كان عدم الرضا الاقتصادي دائمًا هو العامل الرئيس. أما بالنسبة إلى التفاؤل بشأن «الربيع العربي» الذي اندلع قبل 10 سنوات، فقد كان يعتمد إلى حد كبير على التمني في الدوائر السياسية المؤثرة في الغرب، (بحيث تم التحكم في الكثير من هذا الربيع بمساعدة ما يسمى «وسائل التواصل الاجتماعي الجديدة») وعلى أمل لا طائل من ورائه - باتباع نمط «الثورات الملونة color revolutions « في المعسكر الشرقي السابق بعد نهاية الحرب الباردة - لإحداث وضع مماثل في العالم العربي، الدول التي تعتبر نفسها بنفسها أقرب إلى «مجتمع القيم الغربي». لكن أخفق في تحقيق هذا الحلم أيضا في تونس. مع الأزمة الحالية، وربما لأن المشكلات الاقتصادية أصبحت أكبر نتيجة تأثيرات الوباء، الذي وصل في الصيف إلى مستوى كارثي على النظام الصحي المحلي. إن التكهن الدقيق بمآل الأمور في تونس غير ممكن حاليا.

ما يبدو مؤكدا هو أن تونس لم تعد خيارًا «نموذجيا» للتغيير الذي يتصوره الغرب أو يرغب فيه. تواجه البلاد فترة من عدم اليقين وعدم الاستقرار السياسي.

- كيف تقيمون تجربة سوريا في تعاملها مع التدخل السافر للقوى الأجنبية في شؤونها الداخلية؟

■ في ربيع عام 2019، حذرت، في مقابلة مع وسائل الإعلام التركية، من التدخل الأجنبي في سوريا. وما قلته آنذاك لا يزال ساري المفعول. إذا تدخلت قوى ومصالح أجنبية (سواء أكانت دولة أو غير تابعة للدولة) في حالة حرب أهلية، فإن هذا لا يؤدي إلى تفاقم الصراع فحسب، بل يؤدي أيضا إلى إطالة أمده، لأن أحزاب الحرب الأهلية تكون قل استعدادًا بطبيعة الحال لتقديم تنازلات عندما تعرف بأن لديها داعمًا أجنبيًا. وقد اتضح هذا الأمر بجلاء الآن، وهو أمر أدى إلى متاعب للشعب السوري وإلى الإضرار بالمنطقة بأسرها. إضافة إلى هذا، وكما هو الحال في ليبيا، يزداد الوضع في سوريا تعقيدًا بسبب حقيقة كون الدول الأجنبية ليست فقط منخرطة في الحرب الأهلية، بل تشن الدول المتدخلة في سوريا نفسها حربًا بالوكالة على الأراضي السورية، لتؤكد سيادتها في المنطقة. إذا أخذنا في الاعتبار التركيبة متعددة الأديان لسكان سوريا، عندها يدرك المرء أن التدخل الأجنبي يؤجج التوترات الدينية التي استمرت لقرون، والتي تؤثر أيضا على العالم الإسلامي الأوسع.

- إيران قوة صاعدة يُحسب لها حساب في الغرب، ما هي أسباب قوة إيران هذه؟

■ في الوضع الحالي هناك سببان رئيسيان لقوة إيران. من جهة، فإن الإمكانات العلمية والتقنية، أي القدرة البحثية وتطوير التقنيات الحديثة، هي التي تجعل إيران تبدو أكثر استقلالية من العديد من البلدان الأخرى في المنطقة - على الرغم من العقوبات الاقتصادية الواسعة وغير العادلة التي تم فرضها على البلاد. ومع ذلك، فإن عقود العقوبات جعلت إيران، بمعنى ما، أقوى لأنها اضطرت إلى تعبئة جميع مواردها واستخدام إمكاناتها الخاصة إلى أقصى حد، بينما تستورد الدول الأخرى بشكل مستمر جميع التقنيات من الخارج، ولا تطور قدراتها الخاصة. بالمناسبة، من المثير للاهتمام أيضا، أنه لا يوجد فقط بحث علمي تنافسي دوليًا في إيران، بل أيضًا إرث فلسفي حي، يسعى حتى يومنا هذا إلى التبادل مع الفكر الغربي.

من جهة أخرى، عزز الغرب (في هذه الحالة بالذات الولايات المتحدة على وجه الخصوص) إيران بشكل غير مباشر كقوة إقليمية، لأنه أطلق العراق بوحشية كعامل قوة في المنطقة - من خلال الحرب وخنق الاقتصاد الإيراني بالكامل بسبب الحرب مع العراق، وهو خنق فريد من نوعه في تاريخ الأمم المتحدة، حتى الغزو الأمريكي للخليج. ما حدث هنا هو مثال كلاسيكي لقصر النظر وجشع سياسات القوة: يقضي المرء على شريك (الدولة 1) اشتغلت معه سابقًا (في حالتنا: العراق) لإبقاء الدولة 2 (في حالتنا: إيران) تحت المراقبة، دون التفكير في أن الدولة 2 قد وُضعت في وضع تصبح فيه مشكلة حتى بالنسبة إلى القوة العالمية المتدخلة (في حالتنا: الولايات المتحدة الأمريكية)؛ لأن المرء يرى التوازن الإقليمي وبالتالي مصالح الفرد وأمن الحلفاء مهددين. وتبدأ اللعبة من جديد.

- الخوف الأكبر للغرب بالذات هو نجاح إيران في برنامجها النووي، هل لهذا الخوف مبرراته؟

■ تتم مراقبة البرنامج النووي الإيراني على أساس عضوية إيران في الوكالة الدولية للطاقة الذرية ومقرها فيينا.. وفقًا للقانون الإيراني، فإن البرنامج يخدم الاستخدام السلمي للطاقة النووية ليس إلا، كما تستخدمه أيضًا العديد من الدول الأخرى وفقًا للقانون الدولي. و«خطة العمل الشاملة المشتركة» (JCPoA) التي أبرمت في فيينا في عام 2015 مع القوى الكبرى + ألمانيا تلزم إيران بالشفافية في برنامجها النووي والتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية وفقًا لمراقبة مستمرة. في المقابل، عُرض على إيران تخفيف أو رفع العقوبات الاقتصادية عنها. وقد أكد مجلس الأمن الدولي هذا الاتفاق بقرار ملزم. في رأيي، فإن واقعة انسحاب الولايات المتحدة من جانب واحد من المعاهدة في عهد الرئيس ترامب - هو خرق للمعاهدة - مما يشكل حاليًا خطرًا كبيرا: كيف يمكن للمرء أن يتوقع أن تمتثل دولة ما لالتزاماتها (في هذه الحالة المحددة: تشغيل التكنولوجيا النووية لأغراض سلمية حصريًا) إذا انسحب الشريك التعاقدي الأكثر أهمية من المعاهدة- على الرغم من امتثال إيران لجميع أحكام الوكالة الدولية للطاقة الذرية - بشكل تعسفي من المعاهدة و فرض عقوبات أشد من التي يعاني منها إيران؟ كما أن المناقشة الكاملة حول إيران وقدرتها النووية ليست ذات مصداقية طالما أن المجتمع الدولي - أي الدول الموقعة على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية - لم يفعل شيئًا حتى الآن بشكل فعال للتشجيع على إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية على النحو المنصوص عليه في معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية في الشرق الأوسط. وقد فشلت جميع المبادرات في هذا الصدد (وآخرها مؤتمر دول معاهدة حظر الانتشار النووي المقرر عقده في ديسمبر 2012 في هلسنكي، والتي تم إلغاؤها في وقت قصير بتحريض من الولايات المتحدة الأمريكية). لا يجب النظر إلى مشكلة القدرة النووية الإيرانية بمعزل عن الأسلحة النووية الموجودة بالفعل في الشرق الأوسط. حتى الآن، للأسف، تم استخدام المعايير المزدوجة هنا. وهنا بالضبط يكمن الخطر الأكبر في نظري (يقصد المستجوب غض الطرف عن امتلاك إسرائيل لمفاعل نووي: إضافة المترجم).

> تتم مراقبة البرنامج النووي الإيراني على أساس عضوية إيران في الوكالة الدولية للطاقة الذريةوفقا للقانون الإيراني

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة 13

قال إنه طالما لا يوجد توازن جديد فإن الغرب لن يخشى أي عواقب إذا تجاوز القانون

كوكلر: حق النقض يجعل الدول الدائمة العضوية بمجلس الأمن فوق القانون

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

- باعتباركم رئيسا لـ IPO كنتم نشيطون في قضية تبادل أسرى الحرب بين إيران والعراق، وبعدها في قضية الأسرى والمفقودين الكويتيين في العراق. ما هي الصعوبات الميدانية التي تفرضها مثل هذه الأنشطة الإنسانية؟

■ عند التعامل مع القضايا الإنسانية التي تؤثر على الدول المتحاربة أو الدول في حالة حرب مع بعضها البعض، فمن الأهمية بمكان التغلب على انعدام الثقة بين الجانبين والتمييز بشكل صارم بين الجوانب الإنسانية والسياسية. يجب على الوسيط أن يكون دائمًا محايدًا بشأن المشكل السياسي للنزاع بين الدول. ويعتبر الحفاظ على هذا الحياد أمر ضروري في حالة النزاع المسلح. هذه هي الطريقة الوحيدة للوسيط للوصول إلى المتضررين (مثل أسرى الحرب)، وبهذه الطريقة فقط يكون المسؤولون من كلا الجانبين على استعداد للرد على اقتراحات الوسيط. في إطار جهودي في قضية أسرى الحرب العراقية الإيرانية، حاولت التحدث إلى المسؤولين الحكوميين من الطرفين، ودعوت إلى اجتماع للخبراء في جنيف لتوضيح القضايا القانونية. وقد نجحت في كسب رجال دولة محترمين حظوا باحترام الجانبين كداعمين لمبادرتنا، وهم رئيس النمسا، كورت فالدهايم، ورئيس فنزويلا، كارلوس أندريس بيري، ورئيس دولة السودان الأسبق، المشير سوار الدهب. كان تفتيش معسكر اعتقال لأسرى الحرب الإيرانيين الشباب والمناقشات التفصيلية مع هؤلاء الشباب في الرمادي (العراق) ممكنًا فقط لأن مهمتي كانت جزءًا من نشاطي في منظمة التقدم العالمية I.P.O، التي يعترف لها بعدم التحيز. كما كان التقييم المحايد من قبل الأطراف المتصارعة حاسمًا عندما تدخلت مع نائب رئيس الوزراء العراقي طارق عزيز عام 1994 في قضية الأسرى والمفقودين الكويتيين. وقد شكرني وزير خارجية الكويت رسميا على هذا.

> وفقًا لقوانين الأمم المتحدة حاليا، إذا كان المعتدي عضوًا دائمًا، فيمكنه مواصلة عدوانه «مع الإفلات من العقاب» دون الخوف من الإدانة

- في أبريل 2000، عينكم الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان مراقبا دوليا في المحكمة الاسكتلندية في هولندا (محاكمة لوكربي)، ألا تعتبرون مثل هذه المحاكم تعبيرا عن فرض الهيمنة الغربية على الشعوب الأخرى، حتى وإن كنا نرفض جملة وتفصيلا الإرهاب من حيثما أتى؟

■ في «نزاع لوكربي» بين ليبيا من جهة والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا من جهة أخرى، كانت المشكلة الحاسمة هي كيف يمكن تطبيق العملية الجنائية على أكبر هجوم إرهابي في تاريخ المملكة المتحدة بشكل موضوعي ومستقل. أرادت ليبيا تقديم الليبيين المشتبه بهما إلى العدالة في بلدهما وفقًا لاتفاقية مونتريال، وأرادت الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى تنفيذ الإجراءات على الأراضي البريطانية. وبعد مفاوضات طويلة، تم التوصل في آخر المطاف إلى حل وسط - أساس من خلال وساطة رئيس جنوب إفريقيا نيلسون مانديلا- لإجراء المحاكمة، إذا جاز التعبير، على أرض محايدة، هولندا، ولكن أمام محكمة إسكتلندية نظمت جلسات المحاكمة خارج أراضيها، بحضور مراقبين دوليين رشحهم الأمين العام للأمم المتحدة. وطبق هذا الحل الوسط في آخر المطاف من خلال قرار ملزم قانونا لمجلس الأمن (بموجب الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة). وأصدرت المملكة البريطانية اللوائح التنفيذية مع النظام الأساسي القضائي بالرجوع إلى قرار الأمم المتحدة. وعلى الرغم من موافقة ليبيا رسميًا على هذا الحل في ذلك الوقت، فلا يمكن إنكار أن الضغط من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا العظمى- قبل كل شيء من خلال حظر الطيران والعقوبات الاقتصادية التي فرضتها هذه الدول على ليبيا في الأمم المتحدة- كان حاسمًا بالنسبة لليبيا لقبول هذا الحل. وكما أظهر سير إجراءات المحاكمة في هولندا، فإن المحكمة لم تتصرف فعليًا بشكل مستقل ووفقًا لسيادة القانون. بصفتي كنت مراقبا دوليا في هذه المحاكمة، فإنني قدمت تقريرين مفصلين أرسلتهما إلى الأمين العام للأمم المتحدة. إذا نظرنا إلى الوراء، يمكن للمرء أن يفهم بأن الحكم من طرف محكمة إسكتلندية وليس من طرف محكمة ليبية (والذي كان من الممكن أن يكون الخيار الأول بموجب القانون الدولي بموجب اتفاقية مونتريال)، كان نتيجة لنهاية ميزان القوى وتأكيدا للهيمنة الغربية في العلاقات الدولية التي كانت موجودة خلال الحرب الباردة. كما أوضح مسار العملية وإجراءات الاستئناف غير الناجحة هيمنة سياسات القوة الغربية، حيث تم حجب أدلة مهمة عن المحكمة بأمر من الحكومة البريطانية، تحت ذريعة المحافظة على «المصالح الوطنية».

- 63. في كتابكم «العدالة العالمية أم الانتقام العالمي؟ القانون الجنائي الدولي عند مفترق الطرق»، المترجم أيضا إلى العربية، تنتقدون بشدة وبحجج دامغة من بين ما تنتقدونه هيمنة الغرب من خلال المؤسسات الدولية التي يتحكم فيها. ما هي باختصار الأعطاب الرئيسية للقانون الدولي حاليا؟

■ على الرغم من كل التأكيدات على القانون الدولي، فإن هذا الأخير ليس قانونا بالمعنى الحقيقي للكلمة. والسبب في ذلك بسيط للغاية: لا توجد آليات لتطبيق هذا القانون بشكل موحد. وينطبق هذا أيضا وقبل كل شيء على ميثاق الأمم المتحدة: حق النقض بالنسبة للأعضاء الخمسة الدائمين في مجلس الأمن يضع هذه البلدان فوق القانون إلى حد ما، بحيث لا توجد إمكانية قانونية لاتخاذ إجراء ضدها بانتهاكاتها المتعددة للقانون الدولي وممارستها العنف والحرب ضد الدول الأخرى. ومن بين أسباب هذا أن الأعضاء الدائمين ليس لديهم فقط حق النقض، ولكن أيضا لأن الدول المتورطة في نزاع ما ليس لديها التزام بالامتناع عن القرارات الإجبارية في مجلس الأمن. وفقًا لقوانين الأمم المتحدة حاليا، إذا كان المعتدي عضوًا دائمًا، فيمكنه مواصلة عدوانه «مع الإفلات من العقاب» دون الخوف من الإدانة. ماذا يعني هذا النوع من «الفوضى القانونية»؟ وما هي العواقب السياسية العالمية المدمرة التي تتبعه؟ يتضح ذلك بشكل لا غبار عليه في حرب الخليج عام 2003. يوجد فعلا قانون الأقوى كما قال الرومان منذ ألفي عام: ما هو مسموح به للمشتري (أبو الآلهة) لا يجوز للثور (عامة الناس). quod licet Iovi ، non licet bovi. منذ نهاية ميزان القوى ثنائي القطب (مع سقوط الاتحاد السوفياتي في عام 1991)، أصبح الوضع أكثر خطورة. فطالما لا يوجد بعد توازن جديد للقوى، فإن الغرب، تحت قيادة الولايات المتحدة، لن يخشى أي عواقب سياسية إذا تم تجاوز حدود القانون الدولي. وطالما أن السلطة على القانون تهيمن على المسائل الحاسمة للحرب والسلام في إطار الأمم المتحدة، فمن المضلل وغير النزيه التحدث عن «سيادة القانون الدولي».

- في الكتاب نفسه تتطرقون أيضا إلى سياسة الكيل بمكيالين للغرب، في أي شيء يضر هذا الكيل بمبادئ مثل الديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان والمساواة في القانون؟

■ ازدواجية المعايير، والقياس بمعايير مزدوجة، التي أشرت إليها، هي نتيجة مباشرة لهيمنة السلطة على القانون، كما أوضحت سابقًا. تعتبر الحصانة الفعلية التي تتمتع بها القوى العظمى في إطار الأمم المتحدة سببًا حاسمًا للتناقضات والتعسف في الاستشهاد بحقوق الإنسان والديمقراطية وسيادة القانون- اعتمادًا على المصالح المحددة للقوى العظمى- منذ تأسيس المنظمة العالمية. ولعل أبرز مثال على هذا هو التعامل مع قضية فلسطين. في الوقت الذي تم منح العديد من الشعوب حق تقرير المصير في سياق إنهاء الاستعمار، وتمكنت هذه الشعوب تدريجيا من تشكيل دول ذات سيادة وتم قبولها في الأمم المتحدة، يستمر حرمان الفلسطينيين من هذا الحق. في كثير من الحالات، استخدمت حقوق الإنسان أيضا من قبل الدول الغربية فيما يتعلق بسياسات القوة، حيث يتم استعمالها عندما يتعلق الأمر بإضفاء الشرعية على التدخل العسكري («التدخل الإنساني»)، بينما يتنازل المرء على المطالبة بحقوق الإنسان تجاه الدول الحليفة أو الصديقة حتى لو كانت هناك بالفعل انتهاكات جسيمة لهذه الحقوق.

> في كثير من الحالات استُخدمت حقوق الإنسان من قبل الغرب فيما يتعلق بسياسات القوة، حيث يستعملها عندما يتعلق الأمر بإضفاء الشرعية على التدخل العسكري

- ما هو تصوركم لإصلاح منظمة الأمم المتحدة لتصبح بالفعل ممثلة لكل الدول وليس فقط لمصلحة الأقوياء؟

■ إن إصلاح الأمم المتحدة يجب أن يقضي قبل كل شيء على الخلل الذي يكمن في حقيقة كون هيكل مجلس الأمن يجسد مجموعة الدول القوية في عام 1945، رغم أن النظام الدولي تغير بشكل جذري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. شارك عدد قليل نسبيًا من الدول في تأسيس الأمم المتحدة، بحيث إن العديد من الدول الأعضاء اليوم كانت لا تزال مستعمرات تابعة لأوروبا. من الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية، والتي برزت كمشاركة في تأسيس المنظمة، وضمنت لنفسها الدور المميز للأعضاء الدائمين في مجلس الأمن، من الواضح أن اثنتين منها (فرنسا وبريطانيا العظمى) لم تعودا، بعد أكثر من 75 عامًا، قوتين عالميتين. ومع ذلك، لا تزالان تتمتعان بوضع العضوية الدائمة، مما يعني التمثيل الكثيف لأوروبا في هذه الهيئة، في حين أن قارات بأكملها أو مناطق كبيرة مثل إفريقيا وأمريكا الجنوبية وجنوب شرق آسيا والعالم العربي والإسلامي ليست ممثلة على الإطلاق في هذه الدائرة. لذلك يجب أن يشمل الإصلاح أولا إعادة تعريف العضوية الدائمة في مجلس الأمن، وهو ما يرقى إلى مستوى مشاركة القارات أو المناطق التي لم تكن ممثلة في السابق على مستوى العضوية الدائمة. وبالتالي، ينبغي إلغاء الحكم الذي يمكن الدول التي ترتكب عدوانا عسكريًا من التصويت بالنيابة عنها في مجلس الأمن. كما يجب استبدال حق النقض كامتياز لمجموعة صغيرة من الدول داخل مجلس الأمن إما بمبدأ التوافق، الذي يشمل جميع أعضاء مجلس الأمن، أو بشرط وجود أغلبية مؤهلة (من ¾ من الناخبين). ينبغي منح الجمعية العامة، التي بموجب القوانين الحالية لا تتوفر إلا على دور استشاري فقط وتخضع فعليًا لمجلس الأمن، سلطات تشريعية. يجب أن تصبح محكمة العدل الدولية نوعًا من «المحكمة الدستورية» للأمم المتحدة، بما أنه من غير المقبول- كما هو الحال الآن- أن يقف مجلس الأمن فوق القانون، عندما يتخذ قرارات بموجب الفصل السابع، لأنه وفقًا لميثاق الأمم المتحدة، يجب على محكمة العدل أن تعترف بأولوية مثل هذه القرارات. إن حقيقة عدم إحراز أي تقدم حتى الآن فيما يتعلق بإصلاح الأمم المتحدة - على الرغم من المناقشات التي لا حصر لها في اللجن التي عينتها الأمم المتحدة - ترجع إلى حقيقة أن الكثيرين- غالبًا عن عمد- يتجاهلون التالي: مع المادة 108 من ميثاق الأمم المتحدة، ضمنت الدول المؤسسة السابقة («الحكومات الراعية»)- لجميع الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن- عدم تغيير في ميثاق الأمم المتحدة إلا بموافقة جميع الأعضاء الدائمين. وبهذا لربما يكون الإصلاح الأساسي للأمم المتحدة أمرًا مستحيلا من حيث السياسة الواقعية، حيث لا توجد دولة ستتخلى طواعية عن امتيازاتها، خاصة عندما لم تعد دولة ما- مثل الدولتين المذكورتين أعلاه- قوة عظمى، فإنها ستتمسك بامتياز الفيتو الذي تمنحها إياه العضوية الدائمة. وعلى الرغم من أن الواقع التاريخي قد يكون محبطا للآمال، فقد تفشل الأمم المتحدة على المدى الطويل بسبب سياسات القوة.

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة 14

قال إن الغرب كان يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية إرهابية لأنه كان يرفض استخدام شعب القوة لمقاومة الاحتلال

كوكلر: الدول الغربية لم تتنازل عن مستعمراتها بمحض إرادتها

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– نظمتم سنة 1987 في جنيف المؤتمر الدولي حول مسألة الإرهاب، على أي أساس يبني الغرب أحكامه عندما يشير بالأصابع إلى بلد ما أو مجموعة بشرية ما ويعتبرها إرهابية؟

■ حتى يومنا هذا لا يوجد تعريف ملزم قانونا لمصطلح «الإرهاب». وقد فشلت الأمم المتحدة عدة مرات في جهودها في هذا الصدد بسبب الخلافات السياسية بين الدول الأعضاء. ويُظهر وسم دولة أو حركة ما على أنها «إرهابية» مشكلة سياسة، تتجلى في الكيل بمكيالين (politique de deux poids et deux mesures)، سبق أن ذكرتهما عدة مرات. يعتبر إرهابيا من يناضل من أجل حريته، والعكس صحيح، أي من يدعي النضال من أجل الحرية إرهابا، فإنه هو الإرهابي الحقيقي. وهذا التناقض وارد لأن المصطلح غامض وغير دقيق للغاية. في الخطاب الدولي على وجه الخصوص، أصبح الإرهاب نوعًا من «مصطلح الصراع» الذي غالبًا ما يستخدم لتشويه سمعة الخصم أو المنافس، لتقديمه للرأي العام كمزعج، وبالتالي تبرير تصرفات المرء (والتي تكون غالبًا عنيفة) ضد دول أو مجموعات سكانية أو منظمات أخرى. على سبيل المثال، وصفت القوى الاستعمارية في الغرب حركات التحرير في إفريقيا وآسيا، التي تمردت على الهيمنة والقمع الاستعماريين، بأنها «إرهابية». لا يوجد أساس مفاهيمي واضح تصف الدول الغربية بموجبه الدول أو الحركات الأخرى بأنها إرهابية. يبدو لي أن العامل الحاسم هو لحظة الصراع على السلطة: كل طرف بالسلطة- سواء في مستعمرة أو محمية أو مجال نفوذ تطالب به الدولة- ويقوم بمقاومة مسلحة يُنظر إليه على أنه إرهابي. وهذه هي الحالة الكلاسيكية للكيل بمكيالين: عندما يتعلق الأمر بالمطالبة بالسلطة، فإن كل مجموعة تطالب بذلك هي «إرهابية» بالنسبة للدولة المهيمنة، بينما تعتبر كل مجموعة تخدم مصالح هذه الدولة بأساليب عنف «مناضلة من أجل الحرية». هناك أكثر من مثال على هذه الازدواجية: على سبيل المثال، اعتبرت حركات التحرير في فيتنام ودول شرق آسيا الأخرى في الغرب، وخاصة فرنسا والولايات المتحدة، إرهابية، أو الكونتراس Contras الذين يتصرفون بوحشية في نيكاراغوا (الذين قاتلوا بجانب الولايات المتحدة ضد الحكومة الاشتراكية) أو الميليشيات اليمينية، في السلفادور. ويُحتفل بالنموذجين الأخيرين كأبطال الحرية.

> استخدام القوة من المحرمات الحقيقية في المجتمع الدولي لأنه يسبب في التشكيك في النظام الدولي في حد ذاته

– كتبتم عام 1988 «الإرهاب والتحرير الوطني». لماذا يعمد الغرب إلى اعتبار حركات التحرير الوطنية، وبالخصوص في فلسطين، حركات إرهابية؟

■ كما أشرت سابقًا، فإن السبب الحاسم هو القوة، أي الصراع من أجل السيادة على العالم. فالدول الغربية لم تتنازل عن المناطق التي احتلتها واستغلتها كمستعمرات أو محميات طيلة قرون بمحض إرادتها وبسخاء: في كل مكان تم إنكار شرعية مقاومة الشعوب المظلومة من خلال التشهير بمنظماتها ومقاتليها واعتبارهم «إرهابيين»، ولم ينسحبوا إلا تحت ضغط الأحداث التاريخية. هنا يجب أن نتذكر قول المستشار النمساوي برونو كريسكي، الذي قال ذات مرة، عندما سئل عن مفاوضاته مع رئيس منظمة التحرير الفلسطينية، التي كانت مثيرة للجدل للغاية في ذلك الوقت في الغرب (يعني المفاوضات: إ. م.): «الإرهابي اليوم هو رجل دولة الغد»: كان الغرب يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية منظمة إرهابية، لأنه لم يكن يرغب في قبول استخدام شعب القوة لمقاومة قوة الاحتلال والمطالبة بحقه في إقامة دولة خاصة به. تم تفسير رفض النضال الفلسطيني من أجل تقرير المصير الوطني والعودة إلى الأرض في المقام الأول من خلال اصطفاف الولايات المتحدة وأوروبا الغربية إلى جانب إسرائيل لأسباب تاريخية (إنظر وعد بلفور). لو كان الأمر مختلفا، لكان من الممكن الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية وتكريمها كحركة تحرر وطني، كما كان الحال بالنسبة للمؤتمر الوطني لجنوب إفريقيا (ANC)، الذي تم الاحتفال بقائده نيلسون مانديلا أيضا كبطل في الغرب. في حالة فلسطين، هناك أيضًا حقيقة كون الصحافة الغربية بأكملها كانت معادية للعرب. ما زلت أتذكر بوضوح يونيو 1967، عندما كانت جميع وسائل الإعلام- بما في ذلك في النمسا- تتحدث بشكل متحيز عن حرب الأيام الستة لصالح إسرائيل فقط. عندما زرت الأردن ولبنان بعد سبع سنوات، في ربيع 1974، ورأيت الواقع هناك في مخيمات اللاجئين، شعرت بالخيانة من قبل وسائل الإعلام الغربية. عندها- باستخدام مثال مصير الفلسطينيين- أدركت تمامًا عدم نزاهة سياسات القوة لأول مرة. لقد تعلمت مدى أهمية اكتشاف نزاع على الأرض كلما أمكن ذلك وعدم الاعتماد على المعلومات ووجهة نظر طرف واحد فقط من أطراف النزاع.

– ألا تعتبرون بعض مناحي السياسة الغربية إرهابا أيضا؟

■ في مؤتمر جنيف الذي ذكرت، أصدرنا «إعلانا حول الإرهاب» حددنا فيه الجوانب الأساسية لإرهاب الدولة. وهذا لا يشمل فقط استخدام أسلحة الدمار الشامل (كما حدث في عام 1945 ضد اليابان)، بل أيضا القصف المستهدف لأهداف مدنية من أجل ترهيب («إرهاب») السكان، وعمليات المخابرات لقتل السياسيين الأجانب، أو عمليات حظر واسعة النطاق (مثل تلك التي فرضت على العراق في العقد الذي تلا 1991)، والتي يُحرم بسببها الناس في البلدان المتضررة من سبل عيشهم ويتم كسر إرادتهم. وقد تم استخدام هذا النوع من الحروب عدة مرات من قبل الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وفقًا لقانون الحرب الدولي المعمول به، تُصنف هذه الإجراءات الإرهابية أيضًا على أنها جرائم حرب.

– في عام 1996 ترأستم الجلسة الختامية ونسقتم لجنة صياغة «المؤتمر الدولي للديمقراطية والإرهاب» في نيودلهي، كيف يمكن للديمقراطية أن تكون أداة ضد الإرهاب؟

■ عندما تكون دولة ما دكتاتورية وتقمع حكومة شعبها- أو مجموعة عرقية داخل الدولة- يمكن أن يؤدي ذلك، كما أظهر التاريخ في جميع أنحاء العالم، إلى مقاومة مسلحة، تصنفها الدولة المعنية بهذه المقاومة بأنها إرهاب. ويمكن أن يكون هذا الإرهاب محليًا ودوليًا على حد سواء. لكن إذا تم تشكيل دولة بشكل دًيمقراطي، يكون بإمكان جميع شرائح المجتمع فيها المشاركة على قدم المساواة في الحياة السياسية، فلن يكون هناك سبب للعنف ضد الدولة. هذه هي الصلة- وبصورة أدق الارتباط السلبي- بين الديمقراطية والإرهاب. والاجتماع في نيودلهي الذي ذكرتم، والذي افتتحه رئيس وزراء الهند، أشار أيضا بشكل خاص إلى الوضع في الهند، وتحديدا في منطقة كشمير. وحذر الإعلان الختامي، الذي تم تبنيه بالإجماع من قبل جميع المشاركين، بمن فيهم وفد باكستاني رسمي، صراحة من سياسة الكيل بمكيالين بشأن الإرهاب الدولي.

– نشرتم عام 2006 «استخدام القوة في العلاقات الدولية»، على أي شيء يعبر استخدام القوة هذا؟

■ إن حظر العنف هو حجر الزاوية في النظام الدولي، تأسس بعد الحرب العالمية الثانية وجسدته الأمم المتحدة. المادة ذات الصلة بهذا في ميثاق الأمم المتحدة تحظر صراحة استخدام العنف والتهديد به ضد وحدة الأراضي أو الاستقلال السياسي للدول. وهذه قاعدة من القوانين الآمرة ius cogens، أي قانون دولي إلزامي، لا يمكن تجاوزه بأي قرار تتخذه الدول. والاستخدام الوحيد المسموح به للقوة هو استخدامها كوسيلة للدفاع عن النفس (فرديًا أو جماعيًا) في حالة تعرض الدولة للهجوم. في ظل هذه الخلفية، يعتبر استخدام القوة من المحرمات الحقيقية في المجتمع الدولي لأنه يسبب في التشكيك في النظام الدولي في حد ذاته. ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية، أي منذ محاكمات نورمبرغ، اعتبرت الحرب العدوانية جريمة دولية بامتياز. كما أنه يمثل الجريمة المركزية في النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. ولأن العنف الحكومي الدولي- أي الحرب بين الدول- يهدد الأمن والاستقرار العالميين، فإن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لديه مهمة وحق، وفقا لميثاق الأمم المتحدة، في اتخاذ تدابير قسرية (بما في ذلك استخدام القوة المسلحة) في حالة انتهاك حظر العنف. واتخاذ إجراءات ضد الطرف المتحارب واستعادة السلام. والأمر الأكثر إثارة للقلق، كما وضحت عند الإجابة عن أحد أسئلتكم السابقة، هو أن خمس دول في مجلس الأمن – الأعضاء الدائمون المسؤولون بشكل أساسي عن ضمان احترام حظر العنف – مستثنون فعلا من هذا الحظر.

> في الخطاب الدولي، أصبح الإرهاب نوعا من «مصطلح الصراع» الذي غالبا ما يستخدم لتشويه سمعة الخصم أو المنافس

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة 15

قال إنه طالما لم تتغير القوانين الأساسية الدولية فإن سيادة القانون الدولي ستظل مجرد وهم

كوكلر: التصويت بمجلس الأمن فوضوي تكون فيه القوة فوق القانون

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– أرجع إلى موضوع الديمقراطية إن سمحتم: كنتم نشيطين في العديد من اللجن ومجموعات الخبراء التي تتعامل مع قضايا الديمقراطية الدولية مثل شبكة الأبحاث حول الديمقراطية عبر الوطنية التي ترعاها المفوضية الأوروبية (1994-1996)، ما دور مثل هذه اللجن في تطوير الديمقراطية؟

■ يمكن لمجموعات الخبراء واللجان التي ذكرتم أن تساهم في جعل النقاشات السياسية الحالية مثمرة، وهي نقاشات غالبًا ما تكون جدالية في هذا الوقت حول إصلاح النظام الدولي. ودون المبالغة في تقدير تأثير مثل هذه اللجان، فإن عملها يساعد في توضيح المفاهيم. وبعيدا عن السياسة اليومية والمصالح القوية المتغيرة باستمرار للدول، يمكن لمجموعات الخبراء المساعدة على تجنب التناقضات المتعلقة بالمحتوى في مبادرات الإصلاح الديمقراطي للعلاقات بين الدول والعلاقات المعقدة، التي غالبًا ما لا يكون السياسي واعيا بها. ورغم أن مجموعات العمل هذه تقدم توصيات فقط، ولكن يمكن أن يكون لها تأثير حاسم على الرأي العام. وقد ظهر هذا أيضا في شبكة البحث التي ذكرتم، التي مولها الاتحاد الأوروبي، والتي نوقشت مقترحاتها دوليًا.

– بين 2003 و 2008 كنتم نشطين أيضا في المجلس الاستشاري الدولي للجنة الأمم المتحدة للديمقراطية (ألمانيا)، ألم تفشل منظمة الأمم المتحدة عامة في تطوير مبدأ ديمقراطي يحترمه الجميع، بما فيه الدول العظمى؟

■ انبثقت اللجنة الألمانية من أجل أمم متحدة ديمقراطية من المبادرات التي أطلقتها المنطقة العالمية للتقدم التي أترأسها وغيرها من المنظمات غير الحكومية بعد انتهاء الحرب الباردة. وأقصد هنا قبل كل شيء المؤتمرين الدوليين حول إضفاء الديمقراطية على الأمم المتحدة (مؤتمرات حول أمم متحدة أكثر ديمقراطية)، كان الأول في نيويورك عام 1991، ونظم الثاني عام 1992 بمقر الأمم المتحدة بفيينا. في وقت مبكر من عام 985، في الذكرى الأربعين لتأسيس الأمم المتحدة، قمت بتنظيم ندوة في نيويورك- بمشاركة خبراء من الأمم المتحدة- حول «الديمقراطية في العلاقات الدولية»، وقد تم نشر نتائجها من قبل المنظمة العالمية للتقدم. وقد كانت هذه هي المرة الأولى في العالم التي تمت فيها صياغة فكرة مفادها أن مبدأ الديمقراطية المقبول وطنياً لا يمكن أن يدعي المصداقية إلا إذا تم استخدامه أيضا في العلاقات بين الدول، أي عالميًا. ولم تتمكن الأمم المتحدة حتى الآن من المضي قدمًا في هذا الشأن، حيث لا تزال العلاقات بين الدول تحددها آليات سياسة القوة، أكثر من هذا ترى الدول الأعضاء الأقوى أن موقعها المتميز- أو تفوقها على الدول الأخرى- معرض للخطر من خلال إدخال القواعد الديمقراطية للعبة على أساس الشراكة المتساوية. والاقتراح الذي وضعته اللجنة الألمانية، الذي ذكرتم قبل قليل لإنشاء جمعية برلمانية للأمم المتحدة لم يتم تنفيذه أيضا لهذه الأسباب، على الرغم من أن مثل هذه الهيئة، وفقا لميثاق الأمم المتحدة، ممكنة كهيئة استشارية للجمعية العامة للأمم المتحدة. لا ينبغي إغفال كون الجمعية العامة في شكلها الحالي ليست هيئة ديمقراطية، وليست «برلمانًا عالميًا»، ولكنها مجموعة من ممثلي الحكومات الملزمين بالتعليمات.

– 73 في مؤلفكم: «إجراءات التصويت في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة» (1991) تطرقتم إلى كيفية التصويت في هذا المجلس، ما هي انتقاداتكم الأساسية في هذا الموضوع، أي إجراء التصويت؟

■ تنتهك القواعد الخاصة بإجراءات التصويت في مجلس الأمن مبدأ أساسيا من مبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وهو «المساواة في السيادة بين الدول» (المادة 2، الفقرة1). وبالتالي، فإن هذه القواعد غير ديمقراطية. يتألف مجلس الأمن من خمسة عشر عضوا، خمسة منهم من «الأعضاء الدائمين»، وتكون تسعة أصوات من أصل خمسة عشر صوتا مطلوبة للمصادقة على قرار ما. ومع ذلك، فإن القرارات لا تكون صالحة إلا إذا وافق جميع الأعضاء الدائمين عليها. وهذا يعني أن مجلس الأمن لا يمكنه أن يقرر أي شيء بشأن المسائل المهمة للسلام العالمي، لو كان ضد ذلك عضو دائم. وهذا يعني أيضا أنه بمجرد أن يتخذ مجلس الأمن قرارًا بشأن التدابير القسرية (مثل العقوبات الاقتصادية)، لا يمكن رفع هذه التدابير طالما كان هناك عضو دائم واحد ضدها. ويمكن ملاحظة ما يعنيه هذا بشكل ملموس في مثال العراق، حيث تم التمسك بالعقوبات الشاملة لأكثر من 12 عامًا، إلى أن تخلت الولايات المتحدة، التي قامت بغزوها غير الشرعي للبلاد وغيرت حكومتها. ولم تكن تلك العقوبات إلا انتهاكا صارخا لحقوق الإنسان من طريف الولايات المتحدة. لا يمكن تصور وجود دستور غير ديمقراطي للمنظمة العالمية، ولا يمكن تصور وجود تناقض كبير بين الفكرة والواقع. وفقا للميثاق الأممي، ينطبق مبدأ المساواة في السيادة على جميع الدول، ولكن في أقوى هيئة في المنظمة، مجلس الأمن، حيث يكون السلام والحرب على المحك، فإن خمس دول تكون «أكثر تأثيرا» من جميع الدول الأخرى. وبما أن هذه الدول، كما وضحت سابقا، يمكنها أيضا تعطيل جميع الإجراءات لتطبيقها على نفسها إذا شنت حربًا، فإن إجراءات التصويت في مجلس الأمن تعني في النهاية نظامًا فوضويًا، تكون فيه القوة فوق القانون. بالإضافة إلى هذا، ليس هناك أي عضو من الأعضاء الخمسة الدائمين من إفريقيا أو أمريكا اللاتينية أو جنوب آسيا أو جنوب شرق آسيا أو المنطقة العربية أو الإسلامية. فعندما يتعلق الأمر بتوازن القوى في مجلس الأمن، فإن هذه المناطق ليست ممثلة تمثيلا ناقصا فحسب، بل غير ممثلة بشكل فعال.

> لا يمكن للمحكمة الجنائية الدولية اتخاذ إجراءات ضد السياسيين المدانين بارتكاب جرائم حرب إذا كان مجلس الأمن لا يريد ذلك

– في كتاب آخر لكم «الديمقراطية وسيادة القانون الدولي» (1995) تتطرقون إلى موضوع من الأهمية بمكان. لماذا لم تنجح الديمقراطية المطبقة حاليا في «فرض» القانون الدولي؟

■ يتم تعريف المعيار القانوني من خلال حقيقة وجود آليات محددة بوضوح لتنفيذه، وهي إلى ذلك آليات تنطبق بشكل عام على الكل. وعلى عكس القانون المحلي/ الوطني (حيث توجد قواعد ملزمة للجميع، بالإضافة إلى هيئات قضائية مستقلة يمكنها فرض عقوبات في حالة انتهاك القواعد)، فإن مثل هذه الآليات تكاد تكون غائبة تمامًا في القانون الدولي. هناك نظام شامل من القواعد، في «القانون الدولي العام» وفي القانون الدولي العرفي، وفي ميثاق الأمم المتحدة وفي عدد كبير من المعاهدات الدولية مثل المعاهدتين العالميتين لحقوق الإنسان. ومع ذلك فإن نظام المعايير هذا لا يتوفر على نظام فعال لتنفيذه. لا يمكن لمحكمة العدل الدولية بلاهاي أن تحكم إلا إذا خضعت الدول صراحة لولايتها القضائية، وإلا فإنها لا تستطيع إعطاء «آراء استشارية» إلا عندما يُطلب منها ذلك. وكما أوضحت سابقا، لا يمكن لمجلس الأمن أن يفعل شيئا حيال انتهاك الحظر الدولي للعنف إذا كان أحد الأعضاء الدائمين ضده. ولا يمكن للمحكمة الجنائية الدولية اتخاذ إجراءات ضد السياسيين المدانين بارتكاب جريمة دولية- جرائم حرب- إذا كان مجلس الأمن لا يريد ذلك. وليس هناك أي وهم هنا: إن أقوى الدول الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن ستستخدم حق النقض ضد تكليف المحكمة الجنائية الدولية بمقاضاتها عندما تشن هي نفسها حربًا عدوانية على دول أخرى. وهذا يعني: طالما أن القوانين الأساسية (ميثاق منظمة الأمم المتحدة، بما في ذلك النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية، والنظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية، وما إلى ذلك) لم تتغير، فإن سيادة القانون الدولي ستظل مجرد وهم. وكما وضحت ذلك سابقا، لا يمكن تغيير النظام الأساسي في ظل الظروف الحالية. ليست هناك طريقة ديمقراطية للقيام بذلك، بسبب قانون الفيتو في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة؛ لأن كل تغيير في ميثاق الأمم المتحدة (وأيضًا في النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية) يستلزم موافقة الأعضاء الدائمين.

> الممارسة البرلمانية الحالية، التي تعمد إلى التصويت بالقائمة المُنتخبة، تبتعد عن المثل الأعلى الديمقراطي

– في كتابكم «طرق جديدة للديمقراطية» (1998)، تقدمون ما أعتبره شخصيا «بدائل» للنماذج الديمقراطية الحالية، هلا تفضلتم بذكر بعضها هنا.

■ إذا فكرت في الأمر بعناية، فإن النماذج الحالية للسياسة ليست ديمقراطية حقا. فمصطلح «الديمقراطية التمثيلية»، الذي يُستعمل لوصف أنظمة اليوم، خاصة في العالم الغربي، يمثل إشكالية. بما أن الديمقراطية تعني حكم الشعب، أي أنها مباشرة، فلا يمكن ربطها دون تناقض مع مبدأ التحكم في الشعب، أي أن التمثيل (تمثيل الشعب)، بمعنى الشكل غير المباشر للتعبير عن إرادة الشعب بوساطة. والبدائل التي أفكر فيها تسير في اتجاه الديمقراطية التشاركية. ويعني هذا من بين ما يعنيه أن الشعب يصوت مباشرة على المصالح المهمة للمجتمع على فترات منتظمة (كما هو الحال على سبيل المثال في سويسرا). ويكون هذا ممكن تنظيميا، لا سيما على مستوى البلديات أو المقاطعات (الولايات). أما الممارسة البرلمانية الحالية، التي تعمد إلى التصويت بالقائمة المُنتخبة عوض إدخال الحق في التصويت كمُنتخب في عملية صنع القرار، فإنها تبتعد عن المثل الأعلى الديمقراطي. سيكون من المهم بالخصوص إلغاء ما يسمى بـ «إجبارية النادي المنتخب»، الذي يعني أن أعضاء البرلمان يقررون حسب ترتيبات قيادة الحزب - وليس بـ«حرية»، على الرغم من أنهم ملتزمون بأخذ المصلحة العامة كهدف أسمى لعملهم البرلماني طبقا لما يمليه عليهم ضميرهم، كما ينص الدستور على ذلك في كل مكان تقريبًا. بالنسبة للديمقراطية- على الصعيدين الوطني والدولي- يعتبر مبدأ المساواة (ليس واقعيًا، ولكن بمعنى الحقوق المتساوية) حاسمًا. فداخل الدولة يتعلق الأمر بحقوق المواطنين، ودوليًا يتعلق بحقوق الدول، التي من جانبها ليست سوى تجسيد لحقوق مواطنيها. ومن الواضح أن تحقيق المثل الأعلى للديمقراطية يكون أصعب على المستوى الدولي. وفي حالة المنظمات الحكومية الدولية، من الأهمية بمكان أن تكون عملية صنع القرار، بقدر الإمكان من الناحية التنظيمية، أقرب إلى مصالح السكان في الدول الأعضاء.

وفيما يخص الأمم المتحدة، قد يعني هذا إنشاء جمعية برلمانية، مكونة من ممثلين منتخبين مباشرة من جميع المناطق أو البلدان للأمم المتحدة (على غرار برلمان الاتحاد الأوروبي)، ويكون هؤلاء النواب مسؤولين أمام مواطنيهم. وفي ضوء تطور تكنولوجيا المعلومات، سيكون هذا ممكنا من الناحية التنظيمية، لكنه يتعارض مع المبدأ الوظيفي الحالي للأمم المتحدة، الذي يمنح امتيازا للسلطة التنفيذية للدول، وقبل كل شيء الدول الأكثر قوة.

يعد الفيلسوف النمساوي هانس كوكلر، الرئيس السابق لكلية الفلسفة بجامعة إنزبروك ورئيس المنظمة العالمية للتقدم بفيينا، من أبرز الفلاسفة الغربيين الحاليين لأسباب عديدة، نذكر منها بالخصوص وليس الحصر تخصصه في الفينومينولوجيا والفلسفة السياسية والقانونية. كما يعد من المؤولين الجادين لفكر وفلسفة مارتن هيدغر، بل من الأوائل الذين سبروا أغوار هذه الفلسفة وأثاروا مواضيع ظلت شبه غائبة فيها، وبالخصوص اهتمام هيدغر بفكرة الله. وما يميز الفيلسوف هانس كوكلر على الإطلاق عن باقي الفلاسفة الغربيين الحاليين هو اهتمامه الخاص بالحوار بين الثقافات الغربية وثقافات قارات وبلدان أخرى، وبالخصوص العالم ثالثية منها. وقاده هذا الاهتمام إلى الوعي بميكانيزمات اشتغال السياسات الغربية وإرادة هيمنتها والرغبة بالاستمرار في استغلال خيرات العالم الفقير والتأثير المباشر في سياساته، بل إملائها في أفضل الظروف وفرضها بالقوة في الكثير من الأحيان. ونتيجة لهذا بنى كوكلر فلسفة متضامنة كليا مع المستضعفين في العالم، في القارات الخمس، بأبعاد نقدية عميقة للممارسات الغربية على أرض الواقع، والمطالبة في كتاباته ومواقفه بتطبيق مبدأ العدل أو العدالة والمساواة بين البشر لتحقيق السلام في هذا العالم. نُشرت لكوكلر أكثر من 500 مؤلف ودراسة ومقالة في ميدان تخصصه في منابر عالمية متعددة، في شرق وغرب وشمال وجنوب الكرة الأرضية. كما يُعتبر من المحاضرين الأفذاذ، وقد دُعي ويُدعى لتقديم محاضراته في الكثير من الدول، سواء في القارة الأمريكية أو الإفريقية، ناهيك عن القارتين الأوروبية والآسيوية. تُرجمت الكثير من مؤلفاته إلى لغات متعددة (الألبانية والعربية والأرمينية والصينية والهولندية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأيسلندية والإيطالية واليابانية والكورية والفارسية والروسية والصربية الكرواتية والسلوفاكية والإسبانية والتايلاندية والتركية). وبهذا يكون كوكلر من الوجوه الفلسفية الغربية الحالية الحاضرة بقوة في الساحة الثقافية العالمية، كما أن له أيضا العديد من الحوارات الصحافية والمقابلات التلفزية.

الحلقة 16

قال إن للمغرب أهمية كبيرة في الوساطة بين الغرب والعالم العربي الإسلامي

كوكلر: لا يمكن محاسبة الدول الضعيفة واستثناء القوية لعدم التزامها بالقانون الدولي

حاوره - حميد لشهب (النمسا)

– تربطكم علاقة خاصة بالساحة الثقافية المغربية منذ أكثر من ربع قرن، فأنتم حاضرون بانتظام فيها بحوارات لمختلف الجرائد المغربية، وبترجمة نصوص وكتب إلى العربية، وبحضوركم الفيزيقي في إطار محاضرات وندوات قدمتموها في مختلف الجامعات المغربية. ماذا يميز هذه الساحة في نظركم بالمقارنة مع كثير من الساحات الثقافية العربية، ولربما المسلمة؟

■ ما يلفت الانتباه في الثقافة المغربية هو استمراريتها التاريخية والقدرة على عيش التراث العربي والإسلامي في سياق الحضارة الحديثة وجعلها مثمرة. إن الإبداع في المغرب- أيضا في مجالات الفنون الجميلة والأدب- مثير للإعجاب. ما أقدره بشكل خاص في المغرب هو المشهد الفلسفي المفعم بالحيوية والحوار الذي يرغب الفلاسفة بمختلف المدارس الفكرية والتقاليد الثقافية الأخرى الانخراط فيه. كما أن للمغرب أهمية كبيرة في الوساطة بين الغرب والعالم العربي الإسلامي وكذلك من أجل الحوار العالمي للحضارات، كما تروج له الأمم المتحدة.

– تتميزون بلباقة ديبلوماسية فكرية وفلسفية وسياسية عالية، دون التضحية بالمبادئ الأساسية التي تدافعون عنها كالعدالة واحترام حق الشعوب في بناء ذاتها والكف بالكيل بمكيالين إلخ. ألا يكلفكم هذا جهدا كبيرا، نفسيا وعقليا؟

■ انطلاقا من قناعتي الفلسفية الواعية بذاتها، وإذا كان المرء يود المشاركة البناءة في الخطاب العالمي حول العدل والسلام، فعليه دائما وضع قناعاته محط تساؤل بشكل نقدي ولا يقابل مُخَاطَبه أبدا بمنطق إعطاء الدروس. وفقط أخذ مسافة عقلانية من الذات، أي القدرة والرغبة في رؤية الذات من خلال عيون الآخر، هي التي تمكن من إجراء حوار مثمر مع هذا الآخر. هذه هي الطريقة الوحيدة لتعلم أشياء جديدة، وهذه هي الطريقة الوحيدة لتعزيز روح المجتمع العابر للحدود السياسية والثقافية والاجتماعية. وغالبًا ما يكون هذا الابتعاد عن الذات صعبًا، لكن الانضباط المطلوب للقيام بذلك يشحذ العقل ويوسع الأفق الفكري. ومن المهم بمكان أيضًا أن يكون المرء قادرًا على التمييز بين الشخصي/ الذاتي والواقعي/ الموضوعي.

> الأحكام النمطية القبلية عن الإسلام تنتشر أكثر فأكثر في المجتمع ويتم استغلالها بشكل متزايد من قبل السياسة الأوروبية، وهذا أمر مثير للقلق للغاية

لذلك لا يجب رفض الشخص لديه رأي متخصص مختلف أو من أتباع أيديولوجية أو وجهة نظر مختلفة، لأن مثل هذا الرفض من شأنه أن يجعل أي حوار هادف مستحيلاً.

– أعرفكم شخصيا منذ ثلاثين سنة خلت، وعهدت فيكم غزارة إنتاج ونشاط فكري قل نظيره، لم ينقطع حتى بعد إحالتكم على المعاش. ماهي المواضيع أو الأمور التي لم تتطرقوا إليها لحد الآن وتودون معالجتها؟

■ بالنظرًا للتجارب التي اكتسبتها في سياق أنشطتي الدولية، فإن هناك موضوعين لهما أهمية خاصة بالنسبة لي، وهما مرتبطان ارتباطا مباشرًا بالسلام والنظام العالمي العادل. أولا: لاحظت في السنوات الأخيرة تزايد الابتعاد بين أوروبا والعالم الإسلامي، وهو تطور لا يترتب عنه على المدى الطويل خطر نشوب نزاع مسلح فحسب، بل يعرض الاستقرار في أوروبا أيضا للخطر. إن الأحكام النمطية القبلية عن الإسلام تنتشر أكثر فأكثر في المجتمع ويتم استغلالها بشكل متزايد من قبل السياسة الأوروبية، وهذا أمر مثير للقلق للغاية. ومن الضروري القيام بشيء ما للحد من هذا، وبالخصوص في مجال نظام التعليم.

المسألة الثانية التي تهمني هي المسؤولية الدولية. من غير المقبول بتاتا أن تزعزع الدول القوية استقرار مناطق شاسعة في سعيها لتحقيق مصالحها من خلال سياسات القوة، غالبًا بالوسائل العسكرية، وتزيل الحكومات كما تشاء وتغرق شعوبًا بأكملها في الخراب (قدمت بعض الأمثلة فيما سبق من حواراتي). لا يتعلق الأمر هنا بمسؤولية قانونية فحسب، بل توجد أيضا مسؤولية أخلاقية أسمى، على عاتق الدول نفسها- بصفتها جهات فاعلة دولية- وعلى عاتق الساسة المعنيين بالأمر. وعلى الدولة كمجموعة أن تتحمل هذه المسؤولية تماما مثل السياسي كشخص فاعل.

يجب تطوير القانون الدولي بشكل أكبر بتحميل المسؤولية الجنائية ليس للأفراد فقط (وهو أمر ممكن حاليًا إلى حد محدود للغاية فقط)، بل يجب إلزام الدول التي تخترق هذا القانون بتعويض الخسائر التي تتسبب فيها لدول أخرى.

فمن غير المقبول أن تتم محاسبة من هم أضعف إذا لم يلتزموا بالقانون الدولي، وتستثني الدول القوية نفسها من هذه المحاسبة. إن حقيقة كون الأمم المتحدة، للأسباب التي شرحتها سابقا، لا تستطيع فعل أي شيء حيال تجاوزات سياسات القوة لا يبرر النزعة الميكافيلية للقوى العظمى. وبمجرد أن تسمح الظروف بذلك، أود أن أنظم مؤتمرا دوليا للخبراء في فيينا بشأن مسألة المسؤولية الدولية.

– الكثير من الأساتذة والمفكرين يعيشون الإحالة على المعاش كنقطة بداية لـ«الكسل» الفكري والإنتاج الثقافي. ما هي مشاريعكم الفكرية الحالية؟

> من غير المقبول بتاتا أن تزعزع الدول القوية استقرار مناطق شاسعة في سعيها لتحقيق مصالحها من خلال الوسائل العسكرية، وتزيل الحكومات كما تشاء وتغرق شعوبًا بأكملها في الخراب

■ المواضيع التي أود تناولها في السنوات القليلة المقبلة هي في مجال الفلسفة الثقافية والفلسفة القانونية والأخلاقية والقانون الدولي، ولكن أيضًا في نظرية الوعي. فيما يتعلق بالمجموعة الأولى من المواضيع، أريد أن أتناول مسألة آثار العولمة على الهوية الثقافية. وهناك مسألة أخرى تهمني تتعلق بشكلة الوحدة في التنوع في مجال القيم: على سبيل المثال، كيف تتوافق عالمية حقوق الإنسان مع خصوصية تطبيقها، أي مع تنوع التقاليد الاجتماعية والثقافية؟ ومن المهم هنا أيضًا تتبع العلاقة بين الفلسفة الثقافية والأخلاقية. وفيما يتعلق بالقانون الدولي، فإن السؤال الكبير الذي لم يتم حله بعد بالنسبة لي هو: كيف يمكن للمرء تحديد المعايير الدولية بالمعنى القانوني على الإطلاق، إذا لم تكن هناك إمكانية لتطبيقها بشكل عام، خاصة ضد الأقوياء من الدول؟ يتعلق الأمر بالعلاقة بين القانون والسلطة. في نظرية الوعي، فإن المشكلة الرائعة التي أرغب في متابعتها، بقدر ما يسمح به عمري، ما تعنيه الانعكاسية Reflexivität وإلى أي مدى يتم ضمان حرية الإنسان، على الرغم من وعي هذا الإنسان بمحدودية إدراكه.

– جلنا وصلنا في عالمكم الفكري في الأسابيع الماضية وأتيحت للقراء معرفتكم أكثر، أشكركم على مجهودكم هذا في تقريب القارئ العربي من عالمكم الفلسفي وتأملاتكم السياسية. ماذا تودون قوله لمتتبعي أنشطتكم في العالم العربي؟

■ لقد شكلت اللقاءات والنقاشات في العالم العربي على مدى عقود عديدة مقاربتي للثقافة والفلسفة وفهمي للسياسة العالمية. آمل أن يتطور الحوار بين المثقفين العرب والأوروبيين على أساس بناء، وأن يتخلى الغرب ويودع تدريجيا نزعته المركزية، بفضل لقاءات مباشرة ونقاش حول الاهتمامات المشتركة في مجالات الثقافة والمجتمع بينه وبين العرب. فقد قدم الفكر العربي في مجالات الرياضيات والطب والفلسفة وميادين معرفية أخرى كذلك، مساهمة كبيرة في الحضارة العالمية على مر القرون وساعد العالم الفكري الأوروبي وهو في طريقه إلى النهضة والتنوير. وفي عصر العولمة الذي نعيش حاليا، من المهم أن يأخذ العالم العربي المكانة التي يستحقها في الحوار بين الحضارات.